مقالات أدبية بنكهة سوسيولوجية

الطبعة الأولى - عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع
1444 هـ - 2023 م

رقم الإيداع: 28390/ 2022
الترقيم الدولي: 8-868-838-977-978

الكتاب: مقالات أدبية بنكهة سوسيولوجية
المؤلف: د. سمير عبد الرحمن هائل الشميري

---

23 شارع عبدالخالق ثروت - القاهرة - الدور الثالث
تليفون: 20223926449+
201096124252+
البريد الإلكترونى: info@elnokhbapublish.com
زورونا على موقعنا: elnokhbapublish.com
الفيسبوك: النخبة للطباعة والنشر والأبحاث

طبع فى مصر

مقالات أدبية بنكهة سوسيولوجية

د. سمير عبد الرحمن هائل الشميري



2023

المحتويات

المقدمة

في غير مرة أومأت، أني مشغوف بالقراءة والدرس منذ نعومة أظافري والفضل موصول لعائلتي التي امتطت صهوة العلم والمعرفة، فوالدي صديق حميم للكتاب يجد إيناســه في السياحة في بطون الكتب وقرض الشعر، و أشد ما يؤلمه العبث بالكتب وتقطيع أوصالها و إهدار الوقت في سفاسف الأمور ومحاقرها. و أفراد عائلتي على عروة وثقى بالكلمة والحرف والكتاب ويجدون سعادتهم في القراءة وتغذية الروح والعقل من موائد الثقافة والفكر.

تعلمت أســاليب الكتابة وأفانينهــا من القراءة والــدرس ومخالطة أهــل الأدب و أرباب المعرفة والتقويــم، فأرتقيت في مذاهب القول والتفكير، وجمعت ما بين اللين والجزالة.

كان لدي شــغف بــالأدب منذ مشرق عمري وتقوى هذا الشــغف في صدر شــبابي، إلى أن أصبــح جزءً من هويتــي العلمية والثقافية، فأمتزجت روحي بــروح الأدب وتولعت بتوظيــف اللغة وتطويع ألفاظهــا وظفرت بقدر ضخم مــن الثقافة الأدبية وقمت بدراســة المجتمع ببصيرة سوسيولوجية.

أحببت الأدب وشغفت بالصحافة وغصت في تجاويف علم الاجتماع ولا أراني تعبــت أو مللت من القراءة والــدرس والبحث والتنقيب والتأليف.

وعلى سياق متصل أبادر بالقول، أنه من التعاسة أن نعيش في مجتمع جاهل لا يحترم العقل ولا الكلمة الشريفة ولا الرأسمال البشري ولا آدمية الإنسان، وينظر بنوع من الأزورار إلى أهل الذكاء والكيس، ويمجد القوة والفساد وأهل الثراء غير المشروع والصقاعيين والمتغندرين الذين لا يدركون ثقافة العيش وثقافة الروح وجمال الجسد وجمال الكون، وبتصرفاتهم الشوهاء يفككون مقومات الوجود الإنساني ويتهالكون على السلطة والمنافع النرجسية ويسيرون بلا هدى في بوثقة الضياع والوحشة والتسكع والتشظي المجتمعي.

لقد قال مرة الروائي الجزائري الشهير واسيني الأعرج:

يا صديقي أننا في هذه البلاد عرضة لكل المحاولات القاسية لإبادة أحلامنا الصغيرة كل معقد يريدك في النهاية أن تشبهه، أن تصير صورة عاكسة لكل كذبه [1].

لقد أصبح واضحاً لكل عين ذي بصيرة، أن التقهقر المادي والروحي وضيق ذات اليد وتغييب العقل واعتلال المجتمع وعدم التفريق بين المصلحة والمفسدة أدت إلى مزيد من المسالب والمعضلات العويصة التي تنهش عضد المجتمع وتشتت العقل وتزرع العتمة في مضائق الأذهان:

تجديد الحياة العقلية ليس من اليسر والسهولة بهذه المنزلة، وإنما هو في حاجة إلى تطور شديد عميق بعيد المدى، إلى تطور يمس النفس يمس العقل والقلب والضمير يمس المجالات الإنسانية كلها [2].

منذ أن مسـك اليراع بين أصابعي كان همي زرع البسـمة في الشفاه وبث الراحة النفسـية للخَلْق وتنمية الذائقة الفنيـة والجمالية للقراء وزرع شتلات المعرفة في العقول وفتح مغاليق الأبواب وكسر مزاليج الظلم والتشرر والضغوط القهرية:

وأحسـب أنني ناجح إلى حد ما، لأن كلماتي التي أكلت عيوني، على مدى نصف قرن، لم تكن مجانية، لقد حرصت دائماً على شيئين: الإمتاع والتشـويق! وكتبت لغايتين: توفير المتعـة والمعرفة للقراء، وهذا سر نجاحي الكبير، فلا أبوح به إلا للنشر! [3].

في غميس النصوص سيجد القارئ متعاً روحية وعقلية وغذاء فكرياً لأهل الأدب والذوق والتبصر.

وحتى نعرف ما في بطن الزير، نقول أن الكتاب ترحال فكري ووجداني في فضاء الأدب والثقافة بصفاء روحي ونشـوه نفسـية، يحتوي على ثُلة مختارة من المقالات الأدبية كُتبـت في فترات زمنية متباينة أحببت جمعهـا كي لا تندرس ولا تتبعثر وتضيع في مـدارج الرياح لتحريك الراكد والمخبؤ في خضم حياة قلقة مشـحونة بالتخلخل والتضاغط الاجتماعي والأزمات والحروب والتطاحنات الكبرى:

منذُ صغري كان هاجس الكتابة يلاحقنـي، لم أحلم يوماً أن أكون طبيباً أو تاجراً أو حاكـماً أو موظفاً كبيراً. وكانت أمـي رحمها الله، تراني جاداً مجداً منضبطاً، فتصر على أنني سأصبح (حاكماً للقدس)، وكنت أريها مجلة «الرسالة» في ذلك الحين وأقول لها: كل أملي أن يظهر اسمي على صفحات المجلة [4]

الهوامش:

1- https://www.hekams.com
2- طه حسين، تقليد وتجديد، بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1978م، ص 23.
3- حنا مينه (الكتابة هي الحياة)، في: نخبة من الكتاب، مرفأ الذاكرة، كتاب العربي 54، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 2003م، ص 87.
4- حوار مع الأديب والناقد حسـام الخطيب، حاورته: عزيزة راشـد، نزوى (عمان)، العدد 54، ابريل 2008م، ص 118.

فنان بيراع شاعر *

لقد تيسر لي ذات يوم قريب أن أتصفح كتاب (المرشدي في عيون المثقفين) للمؤلف الشاعر عبد الرحمن إبراهيم فالمبدع عبد الرحمن إبراهيم شخصية أدبية شاخصة في فضاء الثقافة اليمنية يشار إليه بالبنان، ويتميز بالإبداع والشفافية والنقاء.

ولا يخالجني شك،من أن القراء لهذا الكتاب سيجدون متعة للعقل ومتعة للنفس. فالكاتب قد تناسلت من بين أنامله إبداعات شائقة، معجونة بمعاناة الفنان، الذي يعكس ما يراه بفن، وليس أدل على ذلك، هو ما أمتعنا به الشاعر عبد الرحمن إبراهيم بكتاباته الشعرية والنثرية، فهو يجيد إشعال الحرائق الصغيرة والكبيرة في نفوسنا، ومع كل خطوة يخطوها إلى الأمام يثير غباراً وجواً ودياً من المناقشات والمطارحات والتجاذبات اللطيفة والممتعة.

وقبل كتاب: (المرشدي في عيون المثقفين)، صدرت دواوين شعرية للمؤلف:

1- تنويعات مدارية في ذاكرة حبيبتي، دار ابن خلدون - بيروت 1981م.

2- إلزا وحدها قدري، دار الهمداني - عدن 1984م.

3- أنثى لهذا الليل، دار الهمداني - عدن 1989م.

4- نساء (تحت الطبع).

1 - تواضع المؤلف:

لقد استطاع الأستاذ الشاعر/ عبد الرحمن إبراهيم أن يضع يده بانبساط على موضوع الكتاب (المرشدي) ولتواضعه المتزن، يعرف المؤلف حق المعرفة، أن الإنسان مهما وصل إلى درجة رفيعة من العلم والمعرفة والتفقه، لا بد أن يترك هنات ونقائص بحاجة أيضاً إلى إغناء من الآخرين، حيث يشير المؤلف: « أعترف - أيضاً ككاتب ينبغي أن يحترم نفسه قبل أن يحترمها الآخرون - أن التصدي - أو قل محاولة التصدي لإنجاز عمل يتعلق بموهبة المرشدي بشموخها و تسامقها، مهما تكن الإمكانات والقدرات، الذهنية والفكرية والثقافية للكاتب، تظل مغامرة من الطبيعي أن تكتنفها المصاعب والإشكالات حتى في أقل تجلياتها» ص 7-8.

« إن لي أملاً بأن يجد القارئ بعد قراءة فصول الكتاب (الكتيب) الثلاثة شيئاً من الفائدة والمتعة، وأن يحس أنني في محاولتي المتواضعة، قدمت شيئاً جديداً مختلفاً عن بعض الكتابات أو المؤلفات التي تتسم بالطابع السردي عند تناولها تجارب عدد من الفنانين (المطربين) دون أن يناقشوا أو يحللوا التجارب والآثار الغنائية وينتهوا إلى موقف تحليلي» ص10-11.

إن هذا الطرح المتواضع والذي لا يحتكر الحقيقة ويؤمن بالرأي والرأي الآخر والمثاقفة والتسامح والحراك الثقافي والاجتماعي - لا يميل إلى التعصب وتسفيه آراء الآخرين.

يذكرني هذا الطرح بتواضع الإمام محمد بن إدريس الشافعي (مؤسس المذهب الشافعي) (150-204هـ) حيث يقول: «رأيي عندي صواب يحتمل الخطأ.. ورأي غيري عندي خطأ يحتمل الصواب» وهناك قول يشاكل هذا الرأي للشيخ محمد بن سالم البيحاني (1908-1972م) إمام وخطيب مسجد العسقلاني في عدن - سابقاً- وصاحب كتاب زوبعة في قارورة.. حيث يقول: «قد أكون مخطئاً وأجب الرجوع إلى الصواب» فالسنبلة المليئة بالقمح تحني رأسها تواضعاً والإناء الفارغ يصدر ضجيجاً أجوفاً.

2 - ما ورائية النص:

يخيل لي، أن المبدع عبد الرحمن إبراهيم أراد أن يشير بسبابته إلى الثقوب والخروم في الحياة الثقافية، والتي من جرائها تتم عملية موت المبدعين والفنانين والمتنورين وهم على قيد الحياة، أي أن موتهم يأتي قبل ميقات الموت الجسدي الطبيعي.. ما أن يموت المبدع حتى تخرج اليراعات من أغمادها لتذكرنا بمحاسنها ومناقبها ولتذرف الدموع على فقدانها، ولنسمع أرقى الملافظ العاطفية البراقة في وصفهم في حين عندما كانوا على قيد الحياة، أو على وشك الموت لا يحظون بلفتة كريمة فتنقطع بهم السبل.. ولما كان واقع الحال هكذا أراد المؤلف عبد الرحمن إبراهيم من خلاله تسليط الضوء على الفنان المبدع محمد مرشد ناجي، أن يلقي حجراً في الماء الآسن، وأن ينبه إلى خطورة تجاهل الفنانين والمبدعين ويقترح بطريقة غير مباشرة إلى تكريم هؤلاء قبل مماتهم.

فلقــد أسرف الزمن في تجاهل الشــخصيات الثقافيــة والفنية الذين صنعوا مع غيرهم من المتمدرســين والمتنورين الفنانين من المتقدمين والمتأخرين تراثاً وثقافة للوطن.

فالفلاح في الحقل ينتج ثمرة وزراعة والعامل في المصنع ينتج مستلزمات حياتية ومادية للمجتمع والمثقف في حقل الإبداع ينتج ثقافة ومعرفة وأفكاراً وقيماً ومثلاً ويعيد تجديد الروح والوجدان والنفوس من الهرم والتبس والانطواء.

فالمتنــورون والمثقفون والفنانون يشــكلون ضمــير ووجدان الأمة للحفاظ على تراث و أصالة وقوة الأمة ويشــكلون أساســاً لرقيهم وتقدمهم.

فقتل أي شــعب من الشــعوب يبدأ بقتل المثقفين والمتنورين صانعي القيم والمثل والوجدان والحراس الأمناء على أصالة وتراث الشــعب وعلى عاداته وتقاليده وذاكرته التاريخية وللغوية والفنية والوجدانية.

إن تجاهل المبدعين والفنانين في كافة فروع الثقافة والتنوير هو المساعدة على موت هذه الملكات الفنية والإبداعية بأعجل ما تيسر.

فالفنانون والمبدعون والمتنورين يكونــون مع غيرهم من المنتجين في افراع الثقافة بألوانها الطيفية المختلفة تراثاً وثقافة للوطن.

فالفن والإبداع بألوانه الطيفية الثقافية يشكل جزءاً من الهوية الوطنية، فهوية أي شــعب من الشعوب لصيقة بالثقافة وهي تعبيرعن السمات والمميزات والصفات التي ينفرد بها أي شــعب من الشعوب، وقد لا

تتكرر هذه القسمات عند الشعوب الأخرى ، وإن تكررت هذه قد لا تكون بنفس التفردات والخصائص، فالفن يصيغ جزءاً من الهوية الوطنية ويعمقها ويعيد تجديدها، ويعد جزءاً من الثقافة فالثقافة على حد تعبير الأستاذ / محمود أمين العالم هي (صناعة صانع الصناعة).

أو على حد تعبير الدكتور محمد عابد الجابري هي ما تعاينه (في العلاقات الاجتماعية والسلوك اليومي في النشاط العام، كما تعبر عنه في الصحافة، والإذاعة والتلفزيون والحفلات والمناسبات، بالخصوص كما يكرسها التعليم والممارسة السياسية والتوظيف الأيديولوجي ومن أجل التعرف عن قرب عن طبيعة هذا (المركب) ومكوناته لابد منه التمييز فيه بين مستويين: مستوى الثقافة الجماهيرية، ومستوى الثقافة العالمية. **الأول**: يضم طريقة الحياة المادية والروحية التي تمنح لكل أمة خصوصياتها، فهي إذن معدن الهوية، وهي تمتد من طريقة الملبس والمأكل والضحك.. إلى مكونات الذاكرة الجماعية والخيال الاجتماعي والرأس مالي الرمزي.

أما الثاني: فيضم مدونة المعارف والإبداعات التي يستهلكها ويعيد إنتاجها (العاملون الفكريون في الأمة، من علماء وأدباء وفنانين وتقنين..).

وهناك ملاحظة لا بد من الجهر بها، هي أن المؤلف قد أختار مادة دسمة أستطاع فيها أن يقلب في ذاكرة الفنان محمد مرشد ناجي، وأن يتوغل في الكشف عن صفحات مطوية ومهمة في تاريخ الفنان محمد مرشد ناجي.

ومن لا يعرف الفنان المرشـــدي الذي كان لـــه حضور في غير مكان، وفي غير مجال، لقد أغنى ذائقتنا الفنية والثقافية، وتشـــبعت أحاسيسنا ووجداننا من ينبوعه الفني الذي لا ينضب.

لقد أبدع بســـخاء ودخل التاريخ فهو أكبر من التزلفات والمجاملات وإبداعاته ناصعة تفقأ العين.

3 - أسلوب التأليف:

الكتاب أنيق، يتميز برشاقة الأسلوب ورصانة السبك ورهافة الحس الفني وعمق المضمون، ولعل الذائقة الشعرية للمؤلف كانت حاضرة بين ثنايا النص وأكسبته نوعاً من الرهافة والتشويق.

ويمكن القول ان الكتاب ينتمي إلى أســـلوب السير، ويمكن اعتباره دراسة سوسيوغرافية انطباعية توثيقية، تندرج ضمن إطار الدراسات الأدبية السوسيوغرافية السوسيولوجية، إنه يسطر تاريخاً لفنان مبدع وهو الفنان محمد مرشـــد ناجي (المرشدي) ومن خلاله يؤرخ لإيقاع الحياة الفنية والأدبية بوجه عام في الخمسينات وحتى اليوم.

ويختلف أسلوب الأســـتاذ / عبد الرحمن إبراهيم عن الأساليب التي اقتفاها مؤلفون آخرون، فهذا الكتاب يركز على الجوانب الاجتماعية والثقافية للفنان محمد مرشـــد ناجي ومضامين النصوص الشعرية - الغنائية التي غناها الفنان (المرشـــدي) والأغاني التي انتشرت انتشاراً النار في الهشـــيم بين أوساط الشـــعب وعبرت عن طموح وتطلعات ووجدان الشعب اليمني، وهنا يكمن عنصر التفرد للكتاب.

4 – معالجة المرشدي للقضايا الاجتماعية:

يعرض المؤلف عبد الرحمن إبراهيم مساهمة المرشدي في معالجة القضايا الاجتماعية حيث يكشـــف لنا المؤلف عن الزوبعة التي أثارتها قصيدة (إليها) أو (لا تخجلي) للشاعر أحمد الجابري والتي يقول فيها:

لا تخجلي ودعي الخمار دعيه لا تتصنعي

أيسوء أني طلبت أنا الهوى بتسرعي ؟

وخشيت أهلك إن دروا أن قد أتيت هنا معي

تتحدثين عن الهوى ما أنت ! إن لم تصنعي

يغفوا على عيني ويصحو مرة في مدمعي

ماذا إذ زعموا الهوى إثماً بما لا ندعي

ألجهلهم يغني الهوى، ويموت خفق الأضلع

ما أنت أو كنت آخر من تعي

لقد أدرك الشـــاعر أحمد الجابري، كما أدرك الفنان المرشدي أن أغنية (لا تخجلي) ليست دعوة للسفور وإنما هي دعوة للحب الإنساني ما بين الرجل والمرأة التي تشكل نصف المجتمع، وتحرر المرأة هو أبعد بكثير من السفور ورمي الحجاب وحرق الشياذر هي أعمق من الذهاب إلى المدرسة أو الكلية أو الجامعة، أو ارتياد الأسواق و المنتزهات هي أعمق بكثير من اقتناء فساتين الموضة وأدوات التجميل والخروج للفسحة والتنزه.. فلا يمكن تحرير المرأة إلا في واقع حـــر، وعليه لا بد من تغيير الوعي

والممارسة والسلوك والقيم المتطرفة تجاه المرأة، لا بد من تغيير الوجدان ولا يمكن تطوير وتغيير الحس الوجداني إلا بسبل شتى منها الأغنية الوجدانية الحقة التي تعيد صياغة الواقع إلى الأحسن، وتعيد تركيب وهندسة النفوس، وتخلق في الإنسان شيئاً من الاصطفاء الروحي وتجلب الراحة للنفس والعقل ويشير المؤلف:

« على الرغم من غضب الغاضبين وثورة الثائرين على مضمون قصيدة (إليها) والمناخ الاجتماعي والسياسي فإن الفنان يدخل في تحد مع كل من يختلف مع قناعته الفكرية ورؤيته الاجتماعية وغنى الأغنياء وكان صداها إيجابياً فوق كل التصورات والتوقعات أي أنها فتحت للمرأة والرجل معاً ثقباً من ثقوب الوعي في بيئة اجتماعية مغلقة، محاصرة بهواء القيم المظلمة الظالمة للإنسان اليمني سواء كان ذكراً أو أنثى» ص37 – 38.

كنت أتمنى على المؤلف أن يتوسع في هذا الباب حيث أن الفنان المرشدي قد طرح قضايا بتلاوينها طيفية اجتماعية فالتوسع في هذا المجال كان سيكشف لنا سواتر أخرى غير معلومة للقارئ.

5 – المرشدي والذائقة الفنية والأدبية:

يمتلك الفنان محمد مرشد ناجي ذائقة فنية وجمالية إضافة إلى موهبة الغناء والتلحين والتأليف ولربما أن كثرة كثيرة من الناس يعرفون المرشدي مطرباً وقد لا يخطر بخلدهم أنه مؤلف فقد ألف عدة

كتب:(أغانينا الشـعبية 1959م) و (الغناء اليمني القديم ومشاهيره 1983م).

وفي هذا السـياق يشير الأسـتاذ عبد الرحمن إبراهيم: « إن إمكانات وقدرات المرشـدي الموسيقية والثقافية ليسـت نتيجة حصيلة دراسة جامعية بل ناتجة عن موهبة سـابقة وجهـود ذاتية جهيدة لأنه حاول منذ مقتبل صباه وشـبابه أن يدرك نمو المواهب وتعملقها لا يأتي إلا بالجهد والمثابرة وعناء البحث والتحصيل الثقافي.

وعن مقدرات ومواهب المرشـدي يؤكد مؤلـف الكتاب: « إن من النادر جداً أن نجد فناناً يجمع بين الفن والثقافة العميقة. وممارسـتها على المستوى العملي، وعلى هذا الأساس يحق لنا القول مكررين عبارة الدكتور عبد العزيز المقالح - إن المرشدي إذا لم يكن فناناً لأصبح أديباً بارزاً» ص182.

فهو يجيد اختيار النص الشـعري بحذق وحماسة فنية رفيعة ففي أغنية (يا طير يا رمادي) التي غناها المرشـدي عند قيام ثورة 26 سـبتمبر 1962م من كلمات الأستاذ / سعيد شيباني أضاف البيت الأخير من الأغنية:

بـالله عليك يا طير يا رمـادي تفرد جناحك تـردني بلادي
خلف البحار ما حد درا بي ضاع الشباب وأنا على عذابي
من أربعين من السنين وأكثر وأنـا هنا مـن قريتي مزفر
قلبي قـنـع رضى بـما تقدر لا عـد شكا همـة ولا تحسر

صـوت المذيع بكر يـدق بابي   مثل الصباح أعــاد لي شبابي
يعلن على الدنيا على الـروابي   شرع السماء وحكمنا النيابي
أنــا فــدا صنعاء فـدا بـلادي   فدا حقول البن وسط داري
أنــا فـدا الـسـلال بكر ينادي   من الحسن والبدر حرر بلادي

فالمثقــف والفنان المبدع لا يعد مبدعاً حقيقياً إن لم تحترق أنامله بنيران الواقع وإن لم يمر بمســافة طويلة من الحزن والآلام وأرض شاسعة مليئة بالأشواك والمسامير، فالفنان المبدع هو الذي يتشبع بحركة إيقاع المجتمع ويعكس الواقع بفنه، فالمعاناة كما يقال تولد الإبداع.

فهــذه الأغنيــة - القصيدة - تصويــر فني رفيع للحظــات تاريخية واســتثنائية (ثورة 26 ســبتمبر) تؤرخ للثــورة والانقلاب المدهش الجذري الحياتي وللصدمة والفرحة والتي من خلالها خرج الإنســان اليمني من الظلمات إلى نور الحرية وخرج الإنسان اليمني من غياهب السجون مكسراً القيود والأصفاد ليطفق بروحه وجسده في فضاءات جديدة غير مألوفة ومبهرة بعيداً عن الظلم واحتقار إنسانية الإنسان.

6 - المرشدي والمواقف الوطنية والتوعية:

الجديد الذي يبسطه المؤلف / عبد الرحمن إبراهيم في مؤلفه: (المرشدي في عيون المثقفين) إنه يكشف جزءاً من السيرة النضالية العطرة للأستاذ / محمد مرشد ناجي على الصعيد الوطني والقومي.

فيشير المؤلف أن أغنية (أبن الجنوب) للشاعر محمد سعيد جرادة والتي غناها المرشــدي في البادري - بكريتر - عدن، فلقد امتعضت السلطة

الاستعمارية في عدن من هذه الأغنية وحرمت الفنان المرشدي (الذي كان قاب قوسين أو أدنى) من المنحة الدراسية الموسيقية إلى لبنان في 6/ 3/ 1958م.

وفي هذا السياق يكشف لنا المؤلف أن الفنان محمد مرشد ناجي انتمى إلى(الجبهة الوطنية المتحدة) عام 1955م وكان عضواً قيادياً فيها.

سيتعرف القارئ من خلال الكاتب على مسائل أخرى من المواقف الوطنية الشجاعة للفنان محمد مرشد ناجي وعلى أغانيه في هذا المضمار.

إن الفنان محمد مرشد ناجي فناناً وطنياً وقومياً وإنسانياً، فهو يغني للإنسان أينما كان ولأنه ملتزم بقضايا شعبه والشعوب العربية الأخرى، قد عبر غير مرة وفي مناسبات شتى عن مواقفه الملتزمة.

فالفنان المبدع هو الذي يدهش النفوس والألباب ويثير ضجة مع كل نغمة ولحن.. الفنان المبدع والمثقف ليس فقط الذي يجيد الغناء ويخترع ويولد الألحان المرهفة للسمع والوجدان، وإنما أيضاً ذلك الذي يجيد اختيار الكلمات بحدس الفنان ورهافة الشاعر.. إننا نفتقر اليوم للأغنية التي تجدد النشاط في الإنسان وتمنحه طاقة للحركة والنشاط، الأغنية التي تشعل ناراً وتغرس في الإنسان بذرة الأمل والتطلع إلى المستقبل، الأغنية التي تحدث ضجيجاً وانفجارا مدوياً، تحرك الأزقة والشوارع وتوقظ النائمين، كما تفعل القصيدة الملتزمة التي تحمل المصباح من بيت إلى بيت وعلى حد تعبير الشاعر الفلسطيني محمود درويش.

هــذه صفات الأغنيــة الجماهيرية التــي جربها وغناهــا المبدع محمد مرشــد ناجي في فترة العراكات والاحتراب والمواجهات مع القوى الإستكبارية الاســتعمارية المغتصبة لتراب الوطن، وأوطان الشعوب العربية وأبرز مثال على ذلك أغنية (يا بلادي) للشــاعر لطفي جعفر أمان: ص40-41.

يا بلادي يا نداءً هادراً يعصف بي

يا بلادي يا ثرى أبني وجدي وأبي

يا كنوزاً لا تساويها كنوز الذهب

اقفزي من قمة الطود لأعلى الشهب

يا بلادي كلما أبصرت شمسان الأبي

شاهقاً في كبرياء حرة لم تغلب

ويورد المؤلــف الأغاني القومية الأخرى التي غناها المرشــدي مثل: (يا جمال)، (بروحي وقلبي)، (قاطعوا إسرائيل)، (أنا أنثى عربية).

ولا أنسى أن أشير إلى أن المؤلف/ عبدالرحمن إبراهيم قد أفرد فصلاً كاملاً موسوماً ب (المرشدي في عيون المثقفين) وعليه جاءت تسمية الكتاب: ص58-59، وفي هذا السـياق يقول المؤلف عبد الرحمن إبراهيم: (هذا الفصل يكاد يكون متميزاً عن بقية الفصول الأخرى من فصول الكتاب، أعترف أن فصل كهذا يتناول المرشــدي مطرباً وموسيقياً ومثقفاً لا بد أن يزعــج ويتعب أي مؤلف مهما تكن متابعاته، ومهما تكن قدرته عــلى التمييز بين تلك الكتابات الشــعرية والنثرية التي

عبر بواسطتها الشـعراء والكتاب عن إعجابهم واهتمامهم بقدرات المرشـدي الأدائية والموسـيقية والثقافية وتتجلى مشـكلة الإزعاج والتعب بالنسـبة لي على أقل تقدير أن ثمـة اتفاقا عاماً حول الرؤية الإبداعية للمرشدي ولكن هذا الاتفاق مطبوع بالإجتهادات الفردية المتباينة للشعراء والكتاب كل حاول أن يعبر عن إعجابه وحاول أن يشيد بالمرشدي وفقاً لإمكاناته الفكرية والثقافية ولرواياته الإبداعية.. ويهمني أن أشـير إشارة عابرة إلى أن هذا الفصل يكاد يشكل الروح - ونعرف جميعاً ماذا تعني الروح- بالنسـبة لبقية الفصول الأخرى التي أعتبرها - في تقديري الخاص - جسداً مهماً تضخم هذا الكتاب الذي يعتبر محاولة أولى للدخول إلى عالم المرشـدي المتسـع الآفاق إبداعياً).

* الثقافية (تعز): العدد (53)، 3/ 8/ 2000م،ص18.

رواية: صنعاء مدينة مفتوحة...
منازلات فكرية.. واحتساب

المقدمة:-

لقــد وقعت في حرج لا أحســد عليه، عندما انقطعت بي الســبل في الحصول عــلى رواية القاص اليمني المبدع محمــد عبد الولي «صنعاء مدينة مفتوحــة»، ذلك أن هذه الرواية قد أشــعلت حرائقاً كبيرة في فضاء الساحة الثقافية اليمنية لا لتميزها وإبداعها عند النزر اليسير من المعترضين، وإنما لوجود بعض الفلتات اللفظية على لسان بطل الرواية (نعمان)، والذي أدى إلى تلاسنات لفظية ومنازلات فكرية وعراكات مريرة امتدت إلى إشهار سيوف الحسبة والتكفير والدخول إلى دهاليز المحاكم. واســتخدمت الروايــة في مناورات سياســية، ومناكفات وتقاطعات شــديدة، وحُمــل النص وبعض الملافــظ، أكثر مما تحتمل التأويلات للنصوص الأدبية والفكرية، وكأن كاتب الرواية الذي مات في حادث درامي عام 1973م، كان يهدف من وراء الرواية الفساد لا الصلاح، واختلط الحابل بالنابــل عند ثلة من المثقفين، وعجزوا عن تلمس طريقهم السوي وسط زحام شــديد وتراشقات لا معنى لها، أرهقت المتصارعين، وأبعدت فصيلاً منهم عن جادة الصواب.

أولًا: الغُربة والتمرد:

لقــد عاش القاص اليمنــي محمد عبد الولي في القســط الأكبر من حياته تعيساً، كان يجد متعته في الكتابة، فالكتابة على حد تعبير **كاترين أن بوتر**:-

ليست قضاء وقت فراغ جميل، هي ليست شيئاً يحدث بلا ألم، إنها مهنة مرهقة وجادة[1].

لقد أرهقته الحياة، وأرهقته الكتابة في حياته، ومن وراء كتاباته تطارده التهم والرذيلة وهو تحت الثرى، يقول **أرنست همنغواي**:-

إن الكتابة، هي الرذيلة الكبرى، واللذة الكبرى، لا فكاك منها سوى الموت[2] فالموت لم يرح الروائي اليمني محمد عبد الولي الراحة الأبدية، بسبب التعاجم في التأويل للنص الأدبي، ولقد قال أحد المفكرين:

لا يمكن أن تتذوق الفن، إن لم تمتلك ثقافة فنية.

فالمبدعون: ليسوا ملزمين بالإيضاح المسطح، أو البساطة، أو العفوية المسكينة، أو بوضع الملعقة في فم القارئ[3].

إن القراءة الحصيفة للرواية وسعة الإدراك، يجنب القارئ الوقوع في التسطيحات وتساعده على تكوين ذائقة فنية وجمالية، وعلى الغوص في أعماق الواقع، بعيداً عن البهرجات اللفظية والفسيفسات الشكلية.

إن القاص محمد عبد الولي قاص وروائي على قدر كبير من الموهبة، وصاحب قدرة عالية في عكس الواقع بلغة شعرية شفافة. ولقد تأثر كثيراً باللغة والتكنيك القصصي للقاص الروسي تشيكوف، وبحنامينا، ويوسف أدريس.

فلم يكن مترعاً بالرومانتيكية، بل كان واقعياً ينتمي إلى المدرسة الواقعية، وهو ليس كمن:- (يمسك ورقةً وقلماً ويرسم إلهاً وبرتقالة).

فهو يمسك ورقة وقلماً ليرسم واقعاً حياً بتفاعلاته، وديناميكيته وبتقاطعاته وبألوانه الطيفية الحياتية، إنه كاتب متمرد على الواقع، واقع الفساد والرذيلة، والسكون والجمود، يمسك القلم لتصوير الواقع بفن وإبداع، ويشير بسبابته إلى موطن الضعف والجُبن في المجتمع، يكره العادات الرتيبة والتقوقع، وتمرده ليس موضة، أو عبارة عن عنفوان شباب، وإنما هو التمرد الواقعي والسليم، ليخلق مجتمعاً أكثر إنسانية واستقامة.

لقد أدرك محمد عبد الولي ضرورة تغيير الواقع، والخروج عن الجمود والرتابة، فبطل الرواية نعمان يقول:-

- أنا.. شاب مندفع لا يحب مطلقاً أن تعيش بلا عجل.. بلا حركة.. بلا خفة.. وشعرت بالسأم بعد أيام من وجودي فيها (القرية)...
- الناس يا صديقي هم ناس بلادي.. بدون تفكير بدون أمل في المستقبل.. بدون شيء.. يأكلون القات.. مرتاحون ولا حديث لهم إلا عن (فلان).. وعن (فلانة).. أحاديث تصيبني بالغثيان كلما استمع إليها. فأهرب من الناس.. ومن نفسي..[4]

فمحمد عبد الولي في رواياته وقصصه، لا يريد من الجمهور أن يتعاطفوا مع أبطاله، ولا يقصد إلى إثارة المشاعر والأحاسيس العاطفية الشكلية، يريد منهم أنهم أن يشاركوا في الحدث، أن يتحولوا إلى عمليين، يدفعهم إلى التغيير والثورة على الظلم والأوضاع البائسة.

لم يقع كغيره من الناشئين في شبكة التقليد والمحاكاة. وظل يكتب على سجيته، دون التفات إلى حصيلته الثقافية.. فلقد كانت مرارة التجربة

التي عاشها والصبا هي المسيطر الأول على إنتاجه... [5].

شـــهدت القصة اليمنية في حياة محمد عبد الولي ازدهاراً لم يســـبق له مثيل. ويعود في ذلـــك إلى تنوع تجربته الثقافيـــة وموهبته الفنية التي صقلها بدراسته فن القصة [6].

فشـــخصية القصة والرواية عنـــد محمد عبد الولي، اتســـعت رؤيتها وانتقلت من الحالة الفرديـــة إلى «النموذج» أي اليمن وأيا ماكان إزاء ظروف لا تشبه المأساة الكونية التي يتعرض لها البطل القديم، بل هي ظروف إنسانية وفي متناول يدنا، وفي مقدورنا تغييرها، أو ينبغي ذلك، من هنا لم تعد القصة تثير العطف أو الإشـــفاق أو الإعجاب، بقدر ما تثير روح التغيير للظروف الخارجية وإنقاذ الضحايا، ولم يعد المجهود الفردي كافياً، فلن يغير من الأمر شيئاً [7].

- لا تنســـوا أنتم.. أن هذه الأرض. لن تنفصل عنكم مهما هربتم. إنهـــا جزء منكم. تطاردكم. ولا تســـتطيعون منها فـــكاكاً. أنتم يمنيون. في كل أرض.. وتحت كل سماء..
- أريد: عملاً أشـــعر فيه بأنني إنســـان كبير.. إنســـان يتضامن مع الجميـــع. الحب.. الحب هو ما أريـــده.. إنني أؤمن أن بلادنا، لا يفرقها استعمار أو استبداد..

إننا لا نســـتطيع عمل شيء لأنفســـنا.. ولا أرضنا.. ولا حتى لهؤلاء العســـاكر.. إذا لم نخلـــق من جديـــد.. نخلـــق كل شيء.. الناس.. الأرض.. الوادي.. حتى أنفسنا. أننا لا نستطيع أن نعيش مع الحمير

في حظيرة واحدة. لا أن نعامل معاملة الحمير. يجب أن نجد لأنفسنا مفهوماً.. وأن نعرف حقيقتنا[8].

لقــد حبك الكاتب خيوط نصه بمهارة الصانــع الملم بأسرار صناعة السرد، وترك للقارئ مناســبة ملاحقة بناء النص وتتبع عوامله، وهو دائم التســاؤل عن سر الحكي الذي ضبط مساره، ويحدد وجهته، إذ لا يمكـــن تكوين فكرة عامة عن هذا النص إلا بعد الانتهاء منه.. إن كل ذلك يجعلنا أمام نص متكامل العناصر والبناء، فهو كتلة واحدة، متراصة العنــاصر والأجزاء، وأي إهمال لأي منهــا لا يمكن إلا أن يسهم في تشويش الرؤية، كما أن أي إغفال لأبسط علاقة فيه لا يتولد عنه إلا اختزال النص، عدم النفاذ إلى جوهره، أو الكشف عن باطنه، والوقوف عند أهم ملامحه وخصائصه[9].

ثانياً: الرواية والإحتساب:-

الروايــة لوحة فنيــة وأدبية لمجتمع مــا قبل الثــورة اليمنية، فالظلم هو الظلم في الشمال (الإمامة)، والجنوب (الاستعمار). فالرواية تعبير عن الإرهاصات الأولى لقيام الثورة اليمنية (26 ســبتمبر في الشمال، و14 أكتوبر في الجنوب).

فالميزة الرئيسية لأبطال الرواية الغُربة، تتقاطع أنفاسهم وأرواحهم مع الواقع، وتدخل في تناقضات رهيبة للخلاص من الواقع الكئيب.

فشخوص الرواية (أبطالها)، (نعمان – محمد مقبل – الصنعاني – البحار (علي الصغير)..)، قد احترقت أناملهم بالواقع، واكتووا بنيران الظلم

والعذاب، ولم يبق أمامهم من مفر سوى مواجهة الواقع بموضوعية وحذر، وإحداث انقلاب حياتي في المجتمع، لإن الظلم واحد في اليمن وأن تعددت أطيافه، ولا بد من لحظة خلاص منه.

إن بطل الرواية (نعمان)، عاش في غُربة ومكابدات نفسية وروحية وضياع افتقد فيها الهدف لحياته وفي أحايين كثيرة كسر الواقع أجنحة أحلامه، وظل أسيراً لحياة الغُربة والانهزام حيناً من الزمن حاول نسيان الواقع ومداواة جراح الغُربة الروحية والنفسية، ولكن دون جدوى، فالضبابية والضياع صارت عنواناً لحياته السقيمة:-

- يا صديقي إني تائه لا أدري ما الذي أعمله.. [10].

وفي لحظة التأمل يأتيه صوت صديقه محمد مقبل، ليحدث هزات في عقله وضميره:-

- عد يا نعمان ولا تهرب. سواء كنت في عدن أو في القرية.. فأنت تمارس المأساة [11].

وفي نهاية المطاف تستيقظ روح التمرد في نفوس أبطال الرواية، ويقتنعون من أن لا سبيل لإصلاح المجتمع إلا بمواجهة الذات، والابتعاد عن حياة الزيف ومواجهة الفساد والظلم وتغيير الواقع إلى الأفضل، وقبل قليل من تكشف الحقيقة ومعرفة الهدف، تموت زوجة نعمان (هند) وطفلها لعُسر في الولادة:-

- كم كانت صموتة.. لا تتحدث كثيراً ولكنها تبتسم.. ولا تتألم ولا تشكو.. كانت في المنزل وكأنها ليست موجودة.. دون صوت.. دون ضجة.. حتى عندما تخلو.. كانت هادئة دائماً.

هل أنت سعيدة.. فتهز رأسها.. كلا.

هل تشكين من شيء.. فتهز رأسها.. كلا.

هل تريدين شيئاً.. فتهز رأسها.. كلا (...)

لقد كانت (الدينامو) الذي يسير كل شيء فيه.. إن المنزل يشكو الألم.. وكل ركن فيه يردد.. لمسات يدها.. الحانية.. لقد كانت أماً.. حتى للأحجار [12].

فبموت «هند» تتملك بطل الرواية (نعمان)، كآبة وهوس وتشنجات لا حدود لها، فيقع فريسة للمرض والهذيان، ويكاد لا يصدق أنها ماتت، ولماذا ماتت؟!! وكيف ماتت؟!! لقد شعر بالذنب والمأساة، لأنه أحبها دون اكتراث وبعبثية. أما في لحظة الصاعقة، الموت أنبجست مشاعر الحب الحقيقية من كل مسامات جسمه، وتحول قلبه إلى كتلة من اللهب والتشوق لهند... وتقوده الكآبة والاضطرابات والتشنجات إلى حالة من الهستيريا والانفعالات اللاشعورية، وتتساقط من لسانه بعصبية غير مألوفة كلمات ليست مستساغة، لقد فقد توازنه وغابت أحاسيسه الحية إلى حالة من الهذيان مخاطباً المولى عزَّ وجل:-

لماذا أخذت يا رب (هند) ما الذي عملته فيك؟

لماذا لا يدعنا الله (الله) نتمتع بشبابنا؟ [13].

لقد وقع بطل الرواية (نعمان) في حالة غير طبيعية، وتساقطت من لسانه ملافظ تعبر عن حالة الغيبوبة واللاوعي التي وقع فيها، وهذه فلتات تحدث وقت الشدة والغضب في غير مكان وغير زمان.. فالصوفيون مثلاً

في حالة الغيبوبة واللاوعي تصدر عنهم تخيلات وتوهمات وشطحات لا يؤخذون عليها لأنهم لا يقصدون التطاول على الذات الإلهية أو التعالي عليها، وإنما يدخلون في حالات من الغيبوبة والحلول والتوحد والزهد والمشاهدة، معها يصعب تكفيرهم ووصمهم بالكفر والزندقة. وقد وضعت الصوفية مبدأ التغير في الثبات باعتباره القوة السارية لتنقية القلب في ثلاثية المعرفة والمحبة والمشاهدة أو ثلاثية القلب والروح والسر، وطابقت بينها بالشكل الذي جعل من وحدتها (الثلاثية) أسلوب وحدة السر (أو الحقيقة). فالقلب هو المعرفة والروح هو المحبة، والسر هو المشاهدة. في تقلبه يتدرج إلى الروح، وفي ارتقائه يرتقي إلى السر. أو أن تقلب القلب بين أصابع الرحمن يؤدي به إلى معرفة الوجود ومحبة كل ما فيه على أنه تجل للحق. ويكشف بدوره عن مشاهدة السر أو المعنى في جزئيات اللامتناهية [14].

لقد وقف الإمام محمد الغزالي (1059-1111م)، ضد تكفير الصوفية، وهذا هو عبد الرحمن بن خلدون (1332-1406م) في المقدمة يقول عنهم:-

الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع، فأعلم أن الأنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها مالا يقصدونه. وصاحب الغيبة غير المخاطب والمجبور معذور.. [15].

إن الإسلاميين مدعوون إلى عدم المسارعة في إشهار سلاح التكفير والتهويل والتفسيق ناهيك عن التحريض على العنف، وليذكروا ما

نقل عن الإمام مالك إمام دار الهجرة من كراهيته الرد على أهل البدع، حتى لا يعين ذلك على إشــاعة بدعتهم. وكم من كويتب أو شويعر نكرة متروك جعل منه التشهير رمزاً للعبقرية والإبداع تتسابق المطابع وأدوار الترجمة على نشره ويتخطفه القراء [16].

فرواية «صنعاء مدينة مفتوحة» صدرت قبل ما يربو على عشرين سنة ومن الصعب على القارئ أن يجد اليوم نســخة في المكتبة أو الأسواق، ودُرست في الجامعات، ومُثلت في مسلسل إذاعي، وقراء الرواية نزر يسير من المثقفين، لم تلفت انتباههم الفلتات اللفظية، بل كانوا يركزون على مضمون العمل الروائي:-

إن الروايــة تبدو نقــداً اجتماعياً للواقع، من خلال تصوير مأســاته، وتبدو محاولة لإعادة ترتيب الماضي، ومحاكمته، وتبدو تبريراً للحاضر معاً. إنها تبدو كل الأشــياء، وتبدو ضباب الأشياء من خلال الدموع والمآسي، وتبــدو لا شيء غير غيبوبة واهية تحملنا إلى أول الطريق كي نمــوت مرتين. أو نزهــر من خلال الموت ورداء حمــراء هي الحياة. لذا كان الموت ليس دلالة اجتماعية وسياســية فحسب، ولكن قضية وجودية ونفسية أيضاً، هذا ما يختاره المؤلف منذ لحظة الولادة [17].

وقبل سنوات جرى تكفير العدد العديد من المثقفين اليمنيين والعرب في اليمن، ولقد وقف المفكر الإسلامي أمين هويدي مندهشاً للتحشيد والتثوير والمغالاة في التصنيف، ففي صنعاء:-

جرت محاكمة علنية في مساجد صنعاء وشوارعها للشاعر نزار قباني. كانت تهمته أنه (يســخط) الذات الإلهية، ويســتخفف في أشــعاره

بالله ســبحانه وتعالى.. لقد قلت لمن أعــرف في (مقايل) صنعاء، أن المساس بالعقائد أو بالغيب مفسدة ما في ذلك شك، لكن انشغال كل الناس بهذه القضية مفســدة أكبر. إذ أزعجني حقاً كثرة ما ســمعت من تصنيفات تضع البعض في دائرة الكفار، والبعض الآخر في دائرة الفاسقين، بينما يضم آخرين إلى قائمة المرتدين.

وقلت إذا انشغلت الأمة بمثل هذه الأمور، فمن ذا الذي يبني ويعمر ويصحح، خصوصاً في بلــد كاليمن هو أحوج ما يكون إلى كل عقل ويد، وكل لحظة وساعة، ليختصر الزمن وينتشل الناس من التخلف الذي يعانون منه؟ [18].

إن فضاء الحيــاة الثقافية يحتاج إلى المزيد من الانفتاح الواعي والمثاقفة وإلى روح التسامح والإخاء، واحترام الرأي والرأي الآخر، ولقد قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي:- رأيي عندي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري عندي خطأ يحتمل الصواب.

فالحريــة ضرورية في حياتنا ولا نســتطيع أن نتنفــس بدونها: فحرية التفكير والكلام والكتابة دعامة لكل حكم صالح. وحرمان المواطنين من هذه الحريات بحجة أنهم قد يســيئوا استعمالها، أمر لا يقل سخافة وحماقة من منعهم من اســتخدام الشموع تخوفاً من الحرائق [19]. لقد ساءني ما تعرض له الزميل/ سمير اليوسفي رئيس تحرير الثقافية، من تهديد وترويع وعنف مبطن، لا يســتهدف اليوسفي لوحده، وإنما في قسطه الأكبر يستهدف الحرية والثقافة بشكل عام.

وفي غــير مكان تكون الأشــجار المثمــرة عُرضة للرشــق بالحجارة والابتزاز، ولربما الاستخفاف والتشفيع بتلاوين طيفية مختلفة.

ويتراءى لي، إن نشر «الثقافية» لرواية القاص محمد عبد الولي «صنعاء مدينة مفتوحة»، كان بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس عند نزر من النــاس، والذين يضيقون درعاً بآراء الآخريــن. فثمة أناس من هذا الفصيــل قد جُبلوا على فرض اللون الواحــد وعلى الغلبة في أوضاع غير عادية، ويريدون إعادة سابق مجدها، في أوضاع عصية الرجوع إلى زمن فارط. ونحن نعيش في كنف الحاضر، من الصعوبة بمكان إدعاء الديمقراطية والحرية الفكرية للذات دون الآخرين:-

إن عقــلاً متنوراً ويمارس الاســتبداد هــي معادلــة لا يقبلها المنطق والواقع. والإنسان الذي يقرر اعتقال عقل غيره يكون في الوقت ذاته قد قرر اعتقال عقله ومن يريد الديمقراطية، ويكون منسجماً مع ذاته، عليه أن يريدها للآخرين. أما من يريد الديمقراطية لنفسه ومصلحته فقط، وحجبها عن الآخرين ومصالحهم، فهو كمن يتزوج من جثة لا إنسان. والفرق بين ممارسة الديمقراطية وممارسة الاستبداد هو الفرق بين ممارسة الحب وممارسة العنف [20].

إن أقوم سبيل لتسوية الإعوجاجات والهفوات إن وجدت، هو النقد الهادف ومقارعة الحجة بالحجة والرأي بالرأي، وعدم تسفيه الآخرين، وإثارة النعرات وتحشيد الناس لصب الزيت في النار، وإشعال حرائق لســنا بحاجة إليها. إن مــا نحتاجه هو أن نغــرس في القلوب حب

الآخرين واحترام أفكارهم واتجاهاتهم الفكرية والإبداعية حتى في حالة الاختلاف معهم.

إننا نحتاج إلى تفتيق العقول وتنوير النفوس، وأن نجعل هذه القلوب والنفوس عامرة بالحب والإيمان فلا يمكن أن تتطور الأنظمة والعلوم والفنون والبشر دون الحرية، فهي المدماك الذي يشكل قاعدة للتطور والازدهار والنما.

ولا يجب استخدام القوة والعنف في كتم أنفاس الآخرين، لإن ذلك يعد تشويهاً لروح المدنية: فالناس متساوون: في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء (21).

إننا في زمن نحتاج فيه إلى المزيد من العلم والثقافة وسعة الصدر وانفتاح العقل، إننا لا زلنا نتلمس طريقنا صوب الديمقراطية، وعليه لا بد أن نتعلم فن الاختلاف، وفن الاتفاق، لابد أن نتعلم النقد بصدر رحب ونتقبل نقد الآخرين وقناعاتهم.

فلقد سقطت كل الأصنام والهياكل التي ادعت امتلاك الحقيقة لوحدها، وألحقت أضراراً فادحة بالثقافة والحرية والانفتاح.

لقد مضى زمن محاكم التفتيش عندما كان المفكرون والمتنورون يصلبون، وتقطع رؤوسهم وأناملهم وألسنتهم وتفتش قلوبهم وضمائرهم.

إننا مــع الثقافة المنفتحة والعصرية مع ثقافــة النقد ضد ثقافة الكبت والإلغــاء والاحتواء: إننا مع التنوير: وحريــة تبادل الأفكار والآراء هي أثمــن حق من حقــوق الإنســان لذلك يحق لــكل مواطن أن يتكلم ويكتب ويطبع بحرية على أن يكون مســؤولاً عن إســاءة هذا الحق... [22].

إن كل العقلاء والطيبين يســعون باتجاه توطيــد مدماك الديمقراطية في المجتمــع، وحتى يتوطد هذا المدماك ســيحدث هرج ومرج، وقد يتخالــط أحياناً الصــلاح بالطلاح، إلا أنه لا بد مــن دفع ثمن لنمو شــجرة الديمقراطية والحرية: فينبغي أن لا نكفر بالديمقراطية ذاتها، فالأم التي ترغب في مولــود يخرج من رحمها محكوم عليها أن تتحمل غثيان الوحم، وضربات الجنين وتقلباته، وأيضاً كل ما يلزم من الحيطة والحمية، ثم ما يتلو ذلك كله من عسر في الوضع، وأحياناً ولربما هذه حالنا، ما قــد يتطلبه ذلك من عملية قيصريــة. إذاً فالديمقراطية في مجتمعاتنا العربية ليســت قضية سهلة، ليســت انتقالاً من مرحلة إلى مرحلة، بل هي ميلاد جديد، وبالتأكيد عسير [23].

وأخيراً:

{أما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}. [24].

* الهوامش:-

1- عن حنا مينا. القصة والدلالة الفكرية. كتاب الرياض. مؤسسة اليمامة - الرياض، العدد (76)، مارس 2000م، ص115.

2- المرجع السابق، ص115.

3- المرجع السابق، ص115.

4- محمد عبد الولي. صنعاء مدينة مفتوحة. الحكمة - صنعاء، السنة 7، العددان (59-60)، إبريل - مايو 1977، ص71، 72-73.

5- عمــر الجاوي. في مقدمة لرواية يموتون لكن غرباء لمحمد عبد الولي. دار العودة - بيروت، ط1، 1/ 6/ 1978م، ص8.

6- المرجع السابق، ص7.

7- د. عبد الحميد إبراهيم. «القصة والشــخصية اليمنيــة». الكلمة - صنعاء. العدد (43)، مايو - يونيو 1977م. ص42.

8- صنعاء مدينة مفتوحة، مرجع سابق، ص99،115،101.

9- سعيد يقطين. «التحولات الحكائية والسردية». نزوى - عمان. العدد (17)، يناير 1999م، ص58.

10- صنعاء مدينة مفتوحة، مرجع سابق، ص82.

11- المرجع السابق، ص101.

12- المرجع السابق، ص134-135.

13- المرجع السابق، ص134.

14- ميثــم الجنابي. «السر أو اللغز والمعنى في الإبداع الصــوفي». نزوى - عمان، العدد (19)، يوليو 1999م، ص33.

15- عبد الرحمن ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. دار الفكر د.ت. ص474.

16- الشيخ راشد الغنوشي يناقش أزمة رواية (وليمة لأعشاب البحر). النور - صنعاء، العدد (111)، يونيو - يوليو 2000م، ص7.

17- محمد علي يحيى. («صنعاء مدينة مفتوحة» محاولة الخروج من دائرة الموت). الحكمة - صنعاء. السنة 17، العدد (137)، إبريل 1987، ص37.

18- فهمي هويدي. أزمة الوعي الديني. دار الحكمة اليمانية - صنعاء. ط1، 1988م، ص182 186.

19- هولباخ عـن/ د. مهدي محفـوظ. اتجاهات الفكر السـياسي في العصر الحديث. المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1990م ص129-130.

20- عدنان حافظ جابر. «العقلانية والديمقراطية». المسـتقبل العربي - بيروت، السنة 22، العدد (254)، 4/ 2000م، ص133.

21- حقوق الإنسـان في 4 مجلدات المجلد1. دار العلم للملايين، بيروت، ط1، نوفمبر 1988م، ص18.

22- حسين جميل. حقوق الإنسـان في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، فبراير 1986، ص20.

23- د. محمد عابـد الجابري. وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايـا الفكر العربي المعاصر. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، يوليو 1992، ص122.

24- القرآن الكريم، سورة الرعد،: آية 18.

* نزوى، العدد229، يناير2002م، ص253-257.

القراءة تنير العقل وتغذي الروح *

توطئة:

القــراءة في الكتب والصحــف والمجلات أو عبر شــبكة الانترنت تضيء مضائق الأذهان وتحول العتمة إلى نور وتمنحنا النشاط الذهني وجرعات من العلم والمعرفة وتعطينا نوراً وبهاء وسط الظلمة الحالكة وتصوب خطواتنا وتجعلنا نزن الأمور بقسطاس الحكمة والتبصر.

فالكتاب له بصمة عزيزة في قلوب العامة والمبدعين وهو غذاء للروح والعقل والقلب، وكلما كانت هناك قطيعة مع الكتاب، كلما تفشــت فيروسات الجهل وتوطن التخلف في أعماق الإنسان.

المقالة التي بين أيدينــا تبين: أهمية القــراءة، والعوامل التي أدت إلى عزوف الشباب والناشئة عن القراءة، والسبل المؤدية إلى تشجيع هواية حب القراءة.

غايتنا تنويــر العقل وزرع شــتلات المعرفة وخلق عــروة وثقى مع القراءة والكتاب.

القراءة الفطنة توسع المدارك وتفتح آفاق الإبداع وتطور ملكة الخلق والإبداع وتنير العقول وتطرد العتمة والجهل وتكشــف الأغطية عن دماملنا وتســاعد على خلــق الأمل في النفوس والعقــول في الفضاء الكالح والكئيب وحل المشكلات التي تنهش عضد المجتمع.

أولاً: القراءة مدماك رصين للإبداع:

المبدعون يعيشون في خلوة دائمة يغوصون في بطون الكتب ويقرؤون بنهم منقطع النظير.

فالخليل بن أحمد الفراهيدي أحد شوامخ اللغة العربية كانت زوجته تشــتاط غضباً من خلوته العلمية وتدخل معه في ملاســنات لفظية وخصام صريح.

وعالم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون منــذُ نعومة أظافره تطبع على القراءة فحفظ القرآن (وجوّده بالقراءات الســبع) وقرأ أمهات كتب الفقه واللغة والتاريخ والثقافة في عصره وصرف وقتاً ثميناً في الدرس والقراءة واعتزل الحياة في (قلعة بن ســلامة) بالجزائر لتأليف كتابه الشهير « مقدمة ابن خلدون».

والمبدع بلزاك كان يقرأ في اليوم الواحد 15 ساعة وصاحب رواية « مدام كوري» فلوبير كان يقرأ 12 ساعة.

والشاعر جبران خليل جبران كان يقضي سحابة يومه في القراءة.

والفيلســوف ديكارت كان يمتعض من أصحاب العبارات الدخانية الذيــن يثقبون جدار صمته فينتقل بخفة مــن مكتبة إلى أخرى ومن مهجع إلى آخر ويتعمد المرور في الشوارع الخلفية المظلمة يبحث عن مساحة صمت كما كان يفعل الروائي المغربي محمد شكري في شوارع طنجة.

وعندما سُئل أحد المفكرين اليونانيين: عن كيفية تقييم الفرد قال: سأسأله: كم عدد الكتب التي قرأتها وما نوعية هذه الكتب ؟

أما مفكر الثورة الفرنسية فرانسوا فولتير - عندما سُئل: من سيقود المجتمعات البشرية ؟ أجاب « الذين يعرفون كيف يقرؤون ويكتبون» ومن شدة شغفه بالقراءة قرأ فولتير رواية « ألف ليلة وليلة» 16 مرة.

كان أحد رؤوساء الولايات المتحدة الأمريكية مشغوفاً بالقراءة إلى درجة استغلال الثواني والدقائق في فترات المقابلات الشخصية والرسمية معه فعند خروج الأفراد من مكتبه ينتهز فرصة للقراءة.

وعالم الفيزياء العربي د. محمد النشائي عندما ترك مجال الهندسة والإنشاءات التي كانت تدر عليه ثروة من المال سأله السير بوندي ذات يوم قائلاً:

« هل تترك كل هذه الأموال من أجل العلم فكانت الإجابة: بنعم.. لأن العلم أهم مصادر متعتي في الحياة كما أنه لم يعد لدي الرغبة في جمع المزيد من المال» [1].

فالقراءة تؤدي إلى خلق ثقافة رصينة ووعي متبصر ولا نستطيع أن نتصور أن عالماً أو أديباً أو مفكراً بزغ في فضاء الإبداع دون أن يرتبط بعروة وثقى بالكتاب والمكتبات دون أن يرضع من ثدي المعرفة والعلم دون أن يغوص في بطون الكتب وتأكل عينيه المجلدات والوثائق العلمية دون أن تحترق أعصابه وخلايا مخه من القراءة والدرس.

يقول الروائي المصري جمال الغيطـاني: أن الشيء الوحيد الذي أنفق عليه بسـخاء وبلا تردد الكتب ربما أتـردد في شراء الملابس وحتى المأكل أما الكتب فلا أحسب لها حساباً [2].

فمن مصلحة الأمة نشر العلم وثقافة القراءة فالعلم ضروري « كالماء والهواء» حسب تعبير د. طه حسين.

فالمفكر والمثقف والمنور اليمني محمد عـلي لقمان بلغ مرتبة عالية من الثقافـة إلى جانب علو كعبـه في الصحافة والتنوير وحذق اللسـان الأجنبية (الانجليزية والهنديـة) في طور باكر من حياته قرأ: « كتاب معجم البلدان لياقوت الحمـوي» وتاريخ إبن الأثير وتاريخ خلكان ومئـات القصص عنترة بن شـداد العبسي وسـيف بـن ذي يزن والأميرة ذات الهمة وما لا يقل عـن 300 رواية من روايات اللص الظريف فضلاً عن قراءته النابهة للشريعة الإسلامية والقرآن والفقه واللغة وكان خطيباً مفوهاً في المسـاجد... ففـي العاشرة من عمره حفظ المعلقات وقـرأ بنهم منقطع النظير لأبن عـربي والغزالي وابن رشد ولأئمة الصوفية..

فالمبـدع يخلق نصه الأدبي والفني بعد قـراءات عميقة ورصينة وبعد أن يتشبع بالموضوع وشرب كؤوساً من المرارات والعذابات والمعاناة الوجدانية وبعد أن يتعرض لسلسلة من الاضطرابات والتوترات العقلية والنفسية فالمبدع شخصية حساسـة وعلى حد تعبير الشاعر صلاح عبد الصبور:- « إن الفنانين والفئران هم أكثر الكائنات استشـعاراً للخطر ولكن الفئران حين تشعر بالخطر تعود لتلقي بنفسها في البحر

هرباً من السفينة الغارقة. أما الفنانون فإنهم يظلون يقرعون الأجراس ويصرخون بملء الفم حتى ينقذوا السفينة أو يغرقوا معها».

فالقراءة عنوان بارز في حياة المجتمعات المتمدنة ولا يمكن أن تخرج من أعطاف حياتنا الإبداعية شخصيات متميزة لها بصمات عزيزة في فضائنا الثقافي دون أن تكون قد أدمنت القراءة والكتابة.

فالإبــداع الأدبي والفني دون قراءة لبيبة وثاقبــة ودون معاناة حقيقة ضرب من السذاجة والبلادة التي تفسد الذوق العام والفضاء الجمالي والتذوقي..

وهنــاك ملاحظة لابد مــن الجهر بها أن نزراً مــن المبدعين « يحملون حملاً كاذباً»

على حد تعبير الشاعر نزار قباني ويلهثون وراء الإنتاج الكمي وخلف الشهرة والأضواء الكاذبة فينتجون إنتاجاً فنياً هابطاً لا ينمي التذوق الجمالي والفني والموسيقي والأخلاقي للجماهير.

فلابد من القــراءة الفاحصة والنقد المتزن ولا بد من التريث في خلق النص الأدبي والفني حتى لا ينتج شعراً أو فناً بليداً مشوهاً للأذواق.

فالشاعر التميمي – قال في حياته بيتاً شعرياً واحداً فخلده التاريخ.

ابن زريق البغدادي – قال قصيــدة واحدة في حياته فأشرق في ذاكرة الزمن.

الأمام محمد البخــاري – ظل يبحث عن صحة حديث نبوي شريف لمدة 20 سنه.

سليمان البستاني – ترجم الأليادة لهيمروس إلى العربية عام 1904م وقضى 20 سنه يدرس اللغة اليونانية لترجمة الأليادة.

حسن عثمان – صرف 20 سنه من حياته لترجمة « الكوميديا الإلهية» لدانتي من اللغة الإيطالية القديمة إلى اللغة العربية.

كارل ماركس – لكي يصدر حكماً على المشاعية البدائية في روسيا (عندما سئُل عنها) قام بدراسة اللغة الروسية لكي يقرأ النص بالروسية ويقول حُكماً في المشاعية البدائية.

ماكس فيبر – عالم الاجتماع الألماني – لكي يعرف شيئاً عن الثورة الروسية 1905م قام بتعلم اللغة الروسية لكي يقرأ ويتابع ماذا يحدث في روسيا.

الفنان الكبير محمد عبد الوهاب – كان دقيقاً في أعماله الفنية يحب القراءة والدرس ودقيق في أعمالة إلى درجة الوسواس.

الروائي العربي نجيب محفوظ – مشهور بقراءاته الرصينة ودقة عمله وتحكمه بالوقت تعلم الفرنسية لكي يقرأ لمارسيل بروست رواية « البحث عن الزمن الضائع» فضلاً عن إجادته اللغة الإنجليزية..

فالقراءة والكتابة والتمدرس عنوان بارز من إيقاعات الحياة اليومية للمبدعين يقول الروائي المغربي محمد شكري صاحب رواية «الخبز الحافي»

أكتب لأنظف نفسي من شهواتها... ولو أنني لم أكتب لكنت الآن ميتاً أو عجوزاً بشكل قبيح أو مجنوناً لأن الجنون يأتي أغلبه عن عبقرية.

فالكتابة ومعها القراءة أنقذاني من الانتحار أو التدمير الذاتي لنفسي [3].

وتقول الكاتبة المصرية نوال السعداوي:

أكتب لأن الكتابة هي الهواء الذي يدخل إلى صدري فيبقيني على قيد الحياة. أكتب لأن الكتابة هي لذتي الكبرى ومتعتي القصوى[4].

ومن يقرأ يشعر بعطش دائم للقراءة وتتراكم لديه المعارف والصور والتخيلات وتتجدد الأفكار وتنجلي الغشاوات الفكرية والروحية وينفجر ينبوع الإبداع فيكتب ويكتب ويعبر عن خلجات نفسه عن تصالحه وتخاصمه مع العالم وعن استيائه من البشر على الطريقة التي عبر بها الروائي العالمي التركي أورهان ما بوق في حفل تسلمه جائزة نوبل للآداب عام 2006 م حيث يقول:

أكتب لأني مستاء منكم جميعاً ومستاء من العالم كله. أكتب لأنه يحلو لي أن أنزوي في غرفة ما طوال النهار. أكتب لأني لا أقدر على تحمل الواقع إلا بتغييره. أكتب كي يعرف العالم أجمع أي نوع من الحياة عشناه ونعيشه الآن أنا والآخرون.. أكتب لأني أعشق رائحة الورق والمداد. أكتب لأني أؤمن بالأدب وبفن الرواية قبل كل شيء. أكتب لأن الكتابة عادة وشغف.. أكتب مخافة أن يلفني النسيان. أكتب لأني أستلذ الشهرة والنفع اللذين تجلبهما لي الكتابة. أكتب كي أكون وحدي. أكتب آملاً أن أفهم لماذا أنا مستاء منكم ومن العالم إلى هذا الحد. أكتب لأنه يطيب لي أن يقرأني الناس. أكتب وأنا أقول في سري: لابد لي من أن أنهي هذه الرواية وهذه الصفحة التي بدأتها. أكتب وأنا أردد: هذا ما ينتظره الناس مني.

أكتب لأني أؤمن مثل كل طفل بخلود المكتبات والموضع الذي ستحتله كتبي فيها. أكتب لأن الحياة والعـالم وكل ما في الوجود جميل ومدهش على نحو لا يصـدق. أكتب لأنه من الممتع التعبـير بالكلمات عن بهاء الحيـاة وغناها. أكتب لا لكي أحكي قصصـاً بل لكي أصوغها. أكتب لكي أتخلص من الشعور بالعجز عن الوصول إلى الذي أصبو إليه مثلما يحدث في الأحلام.أكتب لأني لا أسـتطيع أن أكون سعيداً مهما فعلت. أكتب لكي أكون سعيداً (5).

ثانياً: للقراءة طقوس ومتعة وجدانية:

للقراءة فنـون وطقوس ولكل مبدع طريقته الخاصـة في القراءة فقد يختلف المبدعون في طقوس وعادات القراءة ولكنهم يلتقون في نقطة الشغف بالقراءة واكتشاف دهاليز الجهل ومحيطات الظلام عبر القراءة المتأنية والفاحصة.

فالروائي العالمي المعروف نجيب محفوظ كان يقول:

... مـن كل كاتب كبير يكفي قراءة عمل واحد... وعندما كان يتأهب لقراءة عمل كبير كان يقول: عندي شـغل. وفي فترة الاستعداد لكتابة رواية جديدة يردد: عندي شـغل. وكلمة الشـغل تشـير إلى عبقرية المجهود (6).

والروائـي العالمـي باولو كويلو أُدخـل إلى المصحـة العقلية ثلاث مرات من كثرة القـراءة والكتابة والتأملات وسُـجن ثلاث مرات حيث قال أن:

والدي كان يعتقد بأنني مجنون لأنني كنت أريد أن أكون كاتباً [7].

والشــاعر محمد الماغوط - عندما كان يقرأ ويكتب ينسى نفسه ومن حوله وينزع ملابسه ولا يبقي إلا على سرواله الداخلي [8].

وفي مقالة شائقة للأســتاذ / يحي البطاط يشير: أن الأمريكي هوارد بــيرج يعد أسرع قارئ في العالم حيث يســتطيع قراءة 80 صفحة في الدقيقة... وأن ينهي كتاباً من 400 صفحة في ظرف 10 دقائق.

يرى الروائي الإنكليزي آلان سيليتو أن أفضل مناسبة لقراءة قصة مكتوبة بأسلوب رشيق شائق هي عندما يكون المرء مسافراً في قطار. فيما يرى هنري ميللر أن أفضل قراءاته حدثت في دورة المياه.. بينما كتب شيللي: « تعودت أن أتعرى وأن أجلس على صخرة جرداء لأقرأ هيرودوتس إلى أن يتوقف العرق عن التصبب».

قراء آخرون لا يهمهم أين يقرؤون بقدر اهتمامهم بوقت القراءة فثمة قراء يفضلونها صباحاً ومعظمهم يفضل الليل عندما ينام الجميع ويصفو المكان من الضوضــاء. وعلمت أن هناك من يفضل القراءة في المطبخ أو في الحمام أو تحت شــجرة وارفة الظــلال في حديقة عامة. ولكن النصيحة التي يوجههــا المختصون أن يتم اختيار وقت القراءة عندما يكون الذهن في حالات الصفاء واليقظة [9].

وأتذكــر جيداً عندما كنــت صبياً كنت أرى أبي يحــزم كتبه وأوراقه ويتأبطهــا متجهاً صوب البحر حيث كان يجلس على تلة صغيرة يطل منها على بحر حقات (كريتر - عدن) وينثر صحفه وكتبه ومجلاته على

الأرض ويتسمر فوق تلة بركانية يقرأ ويتأمل ويسافر بعقله وروحه في غابات وبحار ومحيطات الكتب ثم يتوقف ما بين الفينة والأخرى في فسحة ذهنية يتذكر ما قرأ ويعلق بقلمه على هوامش الأوراق ويبرز ما فيها من معلومات وأفكار ومعارف.

فثمة أصدقاء ينقشون في قلب الذاكرة صوراً لا تنسى وإن نسيت لا أنسى أحد الأصدقاء الذي كان يذهب إلى الحمام ولا يخرج منه إلا بشق الأنفس حيث يقوم بمطالعة الجرائد والمجلات والكتب ويجد سكينة روحية في القراءة في دورة المياه.

أما الروائي العربي عبد الرحمن منيف له طريقة خاصة:

بقراءة الكتب لقد كان يتناول كتاباً بعد أن يختاره على اسم الكاتب وتراثه أو الموضوع وأهميته بالنسبة له أو للآخرين وفي جميع المجالات من فكر وسياسة وأدب ومذكرات وتاريخ... تبدأ طريقة القراءة التي لها أيضاً ظروفها وتقنياتها.

فالقراءة ليست للتسلية وتمضية الوقت إنه حالة جادة من التيقظ والتعلم والمعرفة إضافة للدهشة والتقدير لإمكانية الكاتب فكثيراً ما يتوقف عن القراءة وفي يده الكتاب متسائلاً ومعجباً بأسلوبه أو بمادته أو بمعالجته للموضوع ويعود مسرعاً للاستمرار بشغف ونهم هذا إذا حاز إعجابه أو حالة من النرفزة والانزعاج

لغير ذلك فهو برأيه أن الكتب صنفان: » الكتب الرديئة جداً والعظيمة جداً تتميزان بصفة مشتركة: أنك لا تنتهي منها حتى يتملكك غضب

لا تستطيع مقاومته. أن تبعدها أن تدمرها. هذا ما يحس به الإنسان ولكن سبب الإحساس مختلف. الكتب الرديئة تريد أن تدمرها فأنت تريد أن تدمر هذا الأثر الملعون الذي يعلق بجدران الشرايين ويترك في النفس ألماً وعذاباً».

أما الملاحظة الأخرى: هي تناول القلم والدفتر ليخط ملاحظاته بعد انتهائه مـــن القراءة ولم يكن يقصد النقد أو النشر وإنما ملاحظات له وحده.

هـــذه الكتابات الأولية لم تكن دراســـات نقدية بحتـــه وإنما حتى لا يمر الكتاب مـــرور الكرام ليحفر في ذاكرته لوقت طويل يســـتمتع بـــه ويحدث الأصدقاء وكثيراً ما يصبح هـــذا الكتاب أو ذاك حديث المجموعة كلها وأحيانا كثيرة ينتقل من يد ليد ليســـتقر بعيداً ويفقد من المكتبة في كثير من الحالات [10].

ثالثاً: منافع القراءة:

لا نحتاج إلى ذكاء عظيم لتبيان أهمية القراءة للمبدعين وعامة الناس.

فلكي نخلع جلدة التخلف ونسير بخطى ثابتة صوب النور وإبداعات الفكر واشراقات الروح لابد من القراءة لابد من خلق علاقة ألفة مع الكتاب فالكتاب صديق من الطراز الأول.

ولقد قال الشاعر المتنبي:

أعز مكان في الدُنى سرج سابح   وخير جليس في الزمان كتاب

للقــراءة منافع جمة لعل أبرزهــا ترقية العقل وتغذيــة الروح وتصويب السـلوك، فهي تمدنا بذخيرة علمية ومعرفية وأخلاقية وترشـد مسالكنا وتسـوي من اعوجاجنا وتمنحنــا إمكانية عظيمة في فهـم الواقع وحل الإشـكاليات وتعزز قدرتنا الفكرية والنقذية والتحليلية وتخصب وعينا وتنمي مواهبنا، فثمة منافع للقراءة بألوان طيفية نبتسرها على النحو التالي:

- القــراءة الرصينة تنـير العقل وتمحو الجهل والطلاسـم والعتمة الدامســة وتمد القارئ بنظرة رحبة ومنفتحة على العالم والمجتمع والكتل الاجتماعية والصراعــات والتواصل الاجتماعي ومعرفة قوانين التغير الاجتماعي والتقلبات الحياتية ودورة وديمومة الحياة.
- القراءة تمنحنا إمكانية كبيرة في التأمل والتفكر والتبصر وتجاوز الصعاب والمطبات والهواجس المرضية ومعاناة الضر والبؤس والوقوف في وجه التحديات والصدمات المزلزلة وتقويم الأخطاء والحماقات.
- تمنحنا ثراءً معرفياً وتعزز ثقافة الفــرد والمجتمع وتقوي الذخيرة العلمية والمعرفيــة والذخيرة اللغوية والتعبيريــة ومهارة القراءة والكتابة الفطنة.
- تغير نمط التفكــير عند الفرد من تفكير سـطحي غير علمي إلى تفكير عقلاني خال من القفزات والشطحات.
- القراءة العميقة تدفعنا إلى تفكيك وتحليل الإشكاليات والثورة على العتمة الراهنة التي تكرس التشـظي والشقاق المجتمعي والسير في موكب الرذيلة والنفاق.

- القــراءة تعطي القارئ اللبيب مقومات الفصاحة والبيان وتصقل الألفاظ والمعاني وتنمي الملكة اللســانية وتقلل من ســوء الأداء اللغوي البليد.
- القراءة الفطنة تمكــن القارئ من النقد البنــاء وتعطيه إمكانية في تغيير جغرافية العقل والسمو بالوجدان إلى أرفع المستويات ونقل الخــبرات الثقافية والحياتيــة والمعرفية إلى الأجيــال لنمو ونهضة المجتمع.
- القــراءة تنمي مهــارة الــذكاء الوجداني والاجتماعــي والتعمق في لغة الجسد والكلمات والإيماءات والحرية التعبيرية وملكة النقد وحرية الإبداع.
- القراءة تجعلنا أكثر التصاقاً بمفاهيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والتسامح والمواطنة المتساوية والمجتمع المدني وتمكننا من إســتخدام لغة العلم والمعرفة والتمدن والتفكير المنهجي السليم وأدواته المنضبطة والإسهام في التغيرات الاجتماعية الإيجابية.
- القــراءة النابهة تجعلنا نقرأ المكابدات الوجودية للإنســان وتمكننا من صياغة الأســئلة الذكية ومعرفة الهدف والتفريق بين عناصر الصلاح والطلاح وبين ما هو أســاسي وثانوي وتهذب الحماســة الغشيمة للشباب ومقاومة الفساد والتعفن.
- القراءة تمكننــا من قراءة الواقــع بعين فاحصــة وبمتانة منطقية والابتعاد عن التعصب وردود الأفعال العبثية وقراءة ســلوكيات

وتصرفات الآخرين وترفع منسوب الذكاء العقلي والعاطفي وتهذب الذائقة البصرية والأخلاقية وتقمع النوازع الذئبية.

- القراءة الليبية تمكن المثقف من الضغط على زر الخطر ليشعر المجتمع بالمخاطر المحدقة لمعالجة الخروم والابتلاءات والصدوع الداخلية لعمارة الأرض ومحاصرة الرذيلة وللدفاع عن الحق والفضيلة ومد جسور المحبة والاندماج الاجتماعي.
- القراءة تصنع الصوت العقلاني المعتدل وتجنب الأفراد من الوقوع في بوتقة التعصب والغوغائية والاحتجاجات الخالية من البعد الوطني والإنساني وتمنحنا متعة وسكينة روحية وتشكل القيم الروحية والمعرفية والثقافية والجمالية.
- القراءة الجادة تفتح الصدر والعقل وتمكننا من الإنتقال بخطوات عريضة صوب المستقبل متسلحين بالعلم والمعرفة والحكمة والنطاسة.

رابعاً: عزوف الشباب عن القراءة:

للقراءة طقوس لذيذة لا يفهمها إلا من أدمن حب الكتب والمكتبات وعشق الأحرف وكسر شرنقة التيبس الفكري . فصالات القراءة فيها جو من الرهبة والخشوع فيها نسمع همس الكتب وهتافها الروحي ومناجاتها لعقولنا وأفئدتنا.

منذُ نعومة أظفارنا تعلمنا القراءة في البيت والمدرسة والمكتبات وتعزز هذا الحب للقراءة عندما وطنا أنفسنا على شراء الكتب والصحف

والمجـلات ومتابعة آخـر الإصـدارات في عالم النـشر تعلمنا لغة الإشارات والكلام المهموس في قاعات المطالعة وقت الضرورة.

فمكتبة مسـواط (كريتر- عدن) فتحت أعيننا عـلى العالم ووطدت صداقتنا بالكتب والمجلات وزرعت في نفوسنا عشق القراءة ورعشة التساؤل وحب الإطلاع.

وفي سنوات الدراسـة الأكاديمية زاد نهمي للقراءة وتمتنت صداقتي بالكتـب والمكتبات وتأثـرت كثيراً بقامات الفكـر والثقافة اللذين أكلـت الكتب أبصارهـم ولا يبارحون المكتبـات إلا عندما توصد أبوابها ويكونون أول الوافدين إليها في الصباح الباكر.

فالكتاب غذاء للعقل والروح وعندمـا يتقاطر الناس على المكتبات ويبتاعون الكتب ويلهثون وراء الإصدارات الجديدة يؤشر ذلك على سمو الوعي ونهضة العقل.

ففي أوروبا يصدر سـنوياً سـبعة كتب لكل مواطن وأحد عشرة كتابـاً لكل مواطن أمريكي مقابل كتـاب واحد لكل ربع مليون عربي في السنة.

فالقراء في مكتباتنا على قلتهم ليسـوا من الطراز الرصين فقسط منهم يدلفـون المكتبات لا للبحث عن المعارف والعلوم بل للاسـترخاء والتمتع بهواء المكيفات وللتعارف والدردشة مع الأصدقاء.

فعدم احترام قدسـية المكتبات مظهر من مظاهـر التقهقر المجتمعي. فالمكتبـات عنوان لحضارة وتمدن المجتمعـات وتعتبر جزءً من الهوية

الحضارية للشـعوب وكل شعب من الشعوب يفتخر بعلمائه ومثقفيه ومكتباته فالفرنسـيون يفتخرون بمكتبة السوربون التي أسست عام 1257م والإنجليز يفتخرون بمكتبة أكسـفورد التي أسسـت عام 1603م والأمريكيـون يفتخرون بمكتبة الكونجرس التي أسسـت عـام 1800م ونحن كعرب نفتخر بمكتبة بيت الحكمة في بغداد التي أنشئت عام 813 م والمصريون جذلون بمكتبة الإسكندرية ونشاركهم الفخر والاعتزاز فهذه المكتبة تأسسـت علـم 288ق. م والتي أعيد افتتاحها عام 2002م وتقدر مساحتها ب 40200 متر مربع ويعمل فيها 1517 موظفاً حيث تتسع قاعات القراءة لألفي قارئ.

فالمكتبات في بلادنا قليلة وشـحيحة بمحتوياتها ومن أقدم المكتبات اليمنية مكتبة الجامع الكبير في صنعاء (1925م) ومكتبة الشعب في المكلا (1930م) ومكتبة مسواط في عدن (1935م).

وهنـاك مكتبات أكاديمية تخصصية بألوان طيفية تحتاج لدعم وعناية من المراجع المسئولة.

لقد دهشـت مرة عندمـا دخلت مكتبـة (...) فوجدت الشـباب يساجلون بعضهم بعضا بأصوات صاخبة وآخرون يتبادلون الرسائل عبر الهواتف الجوالة وقسـط ثالث يتلذذون بسماع الأغاني للترويح عن النفس... ويقف موظفـو المكتبة مكتوفي الأيدي لا يلفتون انتباه الزائرين إلى ضرورة الاحتشام وعدم جرح الذوق العام.

لنتعلـم ثقافة الصمت ولباقة الحوار مع الكتب وتقنية مناجاة الروح والوجدان الذهني والإبحار في شـبكة الإنترنت والغوص في بطون

الكتب والمجلات والدراسات والمخطوطات واصطياد المعارف واكتناز المعلومات لمواجهة الانعتام وإزاحة الفقر المعرفي دون صخب أو ضجيج يسمم الهدوء ويستفز مشاعر القراء في قاعات المطالعة.

إننا نعيش في محنة حقيقة حيث تتجه أبصار الناشئة صوب ثقافة التسلية مع إهمال حاد للثقافة التي تغذي الروح والعقل بأطباق شهية من العلوم والمعارف.

فالانترنيت والتلفزات والقنوات الفضائية وثورة الاتصالات سلبت ألباب الناشئة والشباب فيقضون سحابة أيامهم في الإبحار في شبكة الانترنيت ومشاهدة القنوات الفضائية.

ونحن في كنف الحاضر لابد من لفت انتباه الشباب والناشئة إلى أهمية القراءة وتشجيعهم على المطالعة ومساعدتهم في انتخاب الكتب والمجلات المناسبة ومشاركتهم في القراءة والنقاش ومواكبتهم في زيارة المكتبات وتشجيعهم على شراء الكتب والمجلات ومساندتهم مادياً وحسياً ووجدانياً.

القراءة عنصر من عناصر الثقافة كما يشير علماء الاجتماع والتربية ويكتسبها الطفل عبر التنشئة الاجتماعية التي تحول الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي وتطبع الطفل بثقافة وعادات وتقاليد المجتمع وتعلمه السلوك الثقافي (اللغة القراءة والكتابة التعلم التفكير تكوين الشخصية) ومؤسسات التنشئة الاجتماعية هي:

الأسرة المدرسة والمؤسسات التربوية الأخرى وسائل الاتصال المؤسسات الدينية (المسجد) المؤسسات الثقافية البيئة الاجتماعية.

وفي هذا السياق ينتصب السؤال المحوري: **لماذا يعزف الشباب عن القراءة؟**

هل يعود ذلك إلى: أمية الأسرة أم إلى المدرسة التي لا توجه الناشئة للقراءة أم إلى الجامعة التي لا تكترث بالطابع النوعي للمكتبات ولا تدفع الطلاب للقراءة أم يعود إلى الوظائف الهابطة لوسائل الاتصال ومؤسسات التنشئة الاجتماعية أم مرد ذلك يعود إلى أسباب نفسية وشخصية وانعدام الرغبة في القراءة وضيق الوقت وتدني مستوى الدافعية وانخفاض التذوق الجمالي والمعرفي أم أن الموضوع يعود لأسباب متعاجمة ومتشابكة ؟!!

الموضوع بوجه عام على همزة وصل قوية بالعادة والتنشئة الاجتماعية والمحيط الاجتماعي.

فالطفل الذي يترعرع في كنف أسرة متعلمة يتشبع بعادات وتقاليد الأسرة العلمية والثقافية ويحذو حذو أسرته ويقلد أفراد الأسرة في القراءة وهذا ينطبق على البيئة الاجتماعية والمحيط الاجتماعي ووسائل الاتصال المؤثرة والمدرسة والجامعة التي تترك بصمتها العزيزة في أذهان وسلوكيات الشباب.

ويمكن القول أن ثمة عوامل متلاحمة أدت إلى عزوف الشباب عن القراءة وأبرزها:

1- ***عوامل أسرية:*** حيث أن الأسرة الأمية وغير المثقفة تترك بصمة سـلبية في عقل ووجدان الأطفال. فالأطفال يقلدون الكبار في القراءة والكتابة وفي السـلوكيات الصالحة والطالحة. فالأسرة التي تهتـم بالقراءة وتسـاعد أطفالها على القراءة وتشـجعهم وتحفزهم على العلم والمعرفـة تترك أثراً حميداً في أفئدتهم يصب لصالح الاهتمام بالكتاب والدرس والمطالعة.

2- ***المدرسـة:*** - لقد تم اختزال مهمة المدرسـة اليوم في تلقين بليد للدرس للطلاب مع عدم الاهتـمام بتطوير المواهب والملكات الثقافية والإبداعية فلا تشـجع أغلب المدارس ولا المدرسـين على القراءة والكتابة والدرس خارج المقررات الدراسية وتتميز الأنشطة اللاصفية بالتلبك والعشوائية وعدم الاتزان ولا تساعد على رفع ملكة التفكير وإثارة القدرات وشـحذ الهمم وتطوير المهارات ومن ضمنها مهارة القراءة والكتابة والتعبير.

3- ***القنوات الفضائية:*** - خطفت القنوات الفضائية أبصار الناشـئة صوب ثقافة الصورة وتقدم وجبات ثقافية تسـاعد على الإثارة ولا تسـاعد على نهضة العقل فمن بين 482 قناة فضائية عربية 8و4٪ مكرسة للهم الثقافي.

4- ***رتابة أداء مؤسسـات الثقافة وأجهـزة الإعلام:*** - حيث طغت على السطح الكتب والصحف والمجلات الدعائية على حساب الكتب والمجلات والصحف والمؤسسات والفعاليات الثقافية الجادة.

5- ***المحيـــط الاجتماعي:-*** محبـــط لعملية القـــراءة والكتابة والعلم والثقافة وصار من المعوقات للنهضة الفكرية والعقلية فالناس منشـــغلون بلقمة العيش وآخر ما يفكرون بـــه القراءة لضيق الوقت ولاهتمامهم بثقافة التسلية والترويح عن النفس.

6- *الفقر وعسر الحياة المعيشية.*

7- *العنف والإرهاب وشيوع ثقافة التكفير.*

8- *الصراعات الاجتماعية وارتفاع منسوب الكره الاجتماعي.*

9- *التعصب العرقي والطائفي والعقائدي والعزلة الاجتماعية.*

10- *ارتفاع معدل الأمية بطابعها الأبجدي والثقافي.*

11- *تقهقر التعليم وانهيار المؤسسات الثقافية والتعليمية.*

12- *الحروب الداخلية والتدخلات الخارجية.*

13- *الفساد المادي والأخلاقي والقيمي والتفكك الأسري وتفكك صواميل التلاحم الاجتماعي.*

14- ***عوامل نفســـية و شخصية:-*** هذه العوامل تشكل نقطة مهمة في عملية الدفع بالشـــباب للقراءة والملاحظة التي لا تخطئها العين هـــو أن أعداداً غفيرة من الشـــباب مفعمـــون بضعف الدافعية للقراءة ويشـــمئزون من مطالعة الكتب والمجلات والصحف السيـــارة والبعض يستخدم شـــبكة الانترنيت لأغراض بعيدة عـــن المعرفة والصلاح وثمة شـــباب يعانون من انشـــطارات

نفسية وروحية ومن غربة مجتمعية تعيقهم عن القراءة وملامسة أصابع النور.

خامساً: تشجيع القراءة:

لابد من تشجيع القراءة وابتكار وسائل وطرق لدفع الناشئة والشباب للقراءة ومن جملة الوسائل والأساليب التي يمكن الأخذ بها هي:

1- استحداث جوائز للقراءة في المدرسة والجامعة والمكتبات ومؤسسات الثقافة لتشجيع العامة على القراءة.

2- زيادة عدد المكتبات في الأحياء السكنية والمدارس والجامعات ومؤسسات العمل والإنتاج وفي المدينة والريف.

3- تسهيل وصول الكتاب والصحف والمجلات للقارئ بمبالغ رمزية بما في ذلك الكتاب الإلكتروني.

4- تبني مؤسسات الثقافة والتعليم طبع كتب المبدعين على الصعيد المحلي والعربي والعالمي وبيعها بأسعار زهيدة.

5- تشجيع الإبداع العلمي والفني والأدبي والثقافي.

6- محو أمية العامة والتشجيع على القراءة والكتابة واستخدام الحاسوب وشبكة الإنترنت.

7- تفعيل أدوار مؤسسات الثقافة المدنية والرسمية.

8- تفعيل أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

9- الحرص على نشر الإبداع الثقافي الحقيقي الذي يترك بصمة عزيزة في عقل ووجدان القارئ.

10- التركيز على الطابع النوعي للثقافة وعدم الاكتراث بثقافة الدعاية والسندويتشات.

11- الاهتمام بالفعاليات الثقافية والترويج لمعارض الكتب النوعية.

12- الاحتفال بيوم سنوي يسمى « يوم القراءة».

13- نشر وتسهيل تداول الكتاب العادي والإلكتروني وتوسيع الشبكة العنكبوتية في المجتمع.

14- تكريم الوجوه الثقافية والإبداعية الذين تركوا أثراً لامعاً في خارطة حياتنا الثقافية.

15- نشر ثقافة اقتناء الكتب وتلخيصها واعتماد جوائز لأحسن التلخيصات والقراءات النقدية للكتب والأبحاث العلمية والثقافية والتربوية.

16- الاهتمام بمعارض الكتب السنوية والفصلية وتكريم مؤسسات النشر التي ساهمت في ترويج ونشر الكتب مع التأكيد أن تكون معارض الكتب منفتحة تشتمل على تلاوين جمة من المعارف والثقافات التي تغذي الفكر الإنساني بالمعارف والمحبة والوداد والتسامح.

17- تشجيع الترجمة والنشر لتوسيع دائرة القراءة لتفتيق الأذهان وللإطلاع على ثقافة وعلوم الشعوب الأخرى وللاستفادة من التجارب والثقافات الإنسانية الخيرة.

الخلاصة:-

صفوة القول أن القراءة مفتاح للتطــور والتمدن والرقي الحضاري للأفراد والجماعات والشعوب والقراءة الفطنة توسع المدارك وتفتح آفاق الإبداع للمبدعــين وتطور ملكة الخلق والإبداع فبدون القراءة والعلم والتمدرس تظل الشعوب غارقة في بحر الأحلام والتمنيات والبدع والهرطقات وقابعة تحت شجرة التخلف والتحجر ومسكونة بالقيــم الصلدة المضادة للعقل وواقعة في قبضة داء لا شــفاء منه إلا بالقراءة والعلم والمعرفة.

فالقــراءة تثقف العقل وتهذب النفس ومن رحمها ينبجس الرأســمال الثقافي والعلمي والعقلانية المنفتحة وتبدأ الخطوات الأولى في التكوين الثقافي والروحي وإرســاء مداميك المعرفة وأسس العدالة والحقوق والتسامح والمواطنة الواحدة وحب التراب الوطني واحترام عادات ومعتقدات وثقافات الشعوب.

الهوامش:-

1- مقابلة مع د. محمد النشــائي العربي العلمي (الكويت) العدد 6 (نوفمبر 2005م) ص 28.

2- جمال الغيطاني (التكوين) مجلة الهلال (القاهرة) (يونيو 2005م) ص 215.

3- محمد القاضي « محمد شــكري.. وداعــاً « الرافد (الشــارقة) العدد 19 (نوفمبر 2003م) ص 9.

4- د. منى حلمي « أمي.. نوال السعداوي « مجلة الهلال (أكتوبر 2003م) ص 155.
5- أورهان مابوق « حقيبة أبي « تعريب: عزيز الحاكم نزوى (عُمان) العدد 56 (أكتوبر 2008 م) ص 233.
6- يوسف القعيد « مفاتيح لدخول الحارة « العربي (الكويت) العدد 577 (ديسمبر 2006م) ص 114.
7- حوار مع الكاتب البرازيلي باولو كويلو ثقافات (جامعة البحرين) العدد9 (شتاء 2004م) ص -146 147.
8- محمد الماغوط وسناء زغير.» الحوار الأخير» العربي العدد 571 (يونيو 2006م) ص 68-71.
9- يحي البطاط « أبطالها مجانين ولصوص وعشاق القراءة عالم ساحر وتاريخ مفقود « دبي الثقافية (دبي) السنة الخامسة العدد 50 (يوليو2009م) ص 102.
10- سعاد قوادري منيف « عبد الرحمن منيف السنة الخامسة على الغياب « نزوى العدد 58 (إبريل 2009م) ص 9 - 10.

* بوابة علم الاجتماع، 19/ 12/ 2019م.

التجاهل المخيف للقامات الإبداعية*

القاص أحمد محفوظ عمر من مواليد عدن 1936م اشتغل في حقل التربية والتعليم وفي سفر حياته التعليمية كان أستاذاً في يوماً ما للرئيس عبد ربه منصور هادي كنت أتمنى على الرئيس هادي أن يمد بصره إلى قامة قصصية سامقة ومهضومة حجبها ستار سميك من التجاهل وأن يكرم القاص المبدع أحمد محفوظ عمر ويضاف اسمه إلى قائمة الأسماء اللامعة التي كرمها يوم الخميس 26/ 6/ 2014م.

فثمة أسماء تظهر فجأة في سماء الثقافة مرفوقة بصخب إعلامي كبير لا تتلاءم وحجمها الثقافي والإبداعي ويتم صناعتها من قبل جهات ومؤسسات لتزييف الوعي والترويج لشخصيات منفوخة بمديح من المغالطات ليس لها علو كعب في خارطة الإبداع الثقافي ومنهم من يكتب بلغة ميتة خالية من نكهة الإبداع ولا تخرج من ضلوعهم وأفئدتهم الولادات الفنية والإبداعية الجديدة.

لقد أصاب كبد الحقيقة أحد المثقفين العرب عندما قال:

في مطلع كل يوم تخرج إلى النور عشرات الكتب الأدبية العربية التي يصفها أصحابها من النقاد بالإبداعية أو الطليعية أو الحداثوية لا لشيء إلا لأنها تحتوي على نصوص الساري فيها كالساري في ليل مظلم وما هي في الواقع سوى نتاج مراهقة أدبية أو مخيلة سائبة غير منضبطة لم تخضع لتربية علمية أو أدبية أو فنية. وأصحاب هذه النصوص

لا يعرف أحد من أين أتوا وما مؤهلاتهم وما الذي يريدون أن يقولوه بالضبط [1].

القاص أحمد محفوظ عمر يحمل على ظهره 78من السـنين ويعيش حياة طبيعية معجونة بالمعاناة وحتـى اللحظة لم يحظ برعاية مادية أو معنوية من المراجع المسؤولة وقد لا يعرف البعض أن هذا الكاتب أغنى المكتبة اليمنية والعربية بأعماله القصصية المشـهورة :الإنذار الممزق الأجراس الصامتة يا أهل هذا الجبل الناب الأزرق وأعمال أخرى لم تر النور بعد مثل: مبادئ لا تباع أبيع الفل يا شادي رسائل إلى من يهمه الأمر.

فالقاص أحمـد محفوظ عمر الذي كتـب القصة بمـداد قلبه لا يريد شـيئاً سـوى الإنصاف فهو أمي في لغة المجاملة لا يجيد سنة السجود والركوع لأصنـام الثقافة وأهل القرار ولا يلبـي إلا صوت ضميره وأزيد بالقول أنه رجل بسـيط ومتواضع وتواضعه مشـبع بالكبرياء وقد لا يعرف الكثير من الناس أن القاص أحمد يمارس الرياضة بشكل يومي ومشـغوف برياضة المشي ولا يجد سلواه إلا في القراءة والكتابة والرياضة والغوص في مفردات الحياة اليومية للبشر العاديين ومخالطة الناس في الشـوارع والأزقة والأسـواق والمقاهي ويعد من أفاضل القصاصين أفنـى زهرة حياتـه في محراب الإبـداع القصصي ومنح الأرصفة والطرقات والشوارع والشواطئ في مدينة عدن نكهة خاصة بتجواله الشغوف الممزوج بالتسلية والرياضة والخيال المتواكب بتفكير أخرس يقطر عذوبة ورقة ومنحته هذه المدينة الشاطئية الإلهام والزخم والحيويـة والجمال وعندما يتوغـل بقدميه في أزقتها ودروبها يشـعر

بالدهشة والطمأنينة والرضوان في صميم روحه وتنطبع هذه المدينة بتفاصيلها في ذاكرته كالوشم إنه يمشي وفي رأسه تتجمع المشاهد والصور والحبكة القصصية واللقطات الفنية والإبداعية يمشي وتمشي في دورته الدموية القصة وهندستها وأحداثها وجمال رونقها ولغتها الشعرية والأسلوب اللغوي والوجداني والبلاغة التعبيرية.

إنه بارع في لغته القصصية الخالية من الحشو والمفعمة بجمال الوصف ودهشة المفاجأة والانتقال الرشيق بخفة متناهية في الأزمنة والأمكنة كما ينتقل في تجواله اللذيذ من شارع إلى شارع ومن زقاق إلى زقاق ومن ساحة إلى ساحة ومن ضفة إلى أخرى بعدسة فنية صادقة تجيد تنويع المشاهد والصور في لوحة فنية رائعة وبتكنيك قصصي وبحشد لغوي وعاطفي وجمالي جذاب.

إنه صادق يعكس بفن تفاصيل الحياة اليومية لحظة بلحظة ويكشف الأغطية عن دماملنا فهو يقول:

أنا صادق في طرح أحاسيسي وفي أعمالي القصصية ولا توجد أي قصة من قصصي تبرز عكس ما أضمر فهي احساس عميق ذاتي مقدس ابوح عبرها بما لم أستطع أن أقوله علناً... إنني أشعر أن من أهم نجاح القصة توفر عنصر الصدق فيها... القصة التي لا تؤثر في القارئ بلا شك قد تفتقر إلى هذا العنصر الهام [2].

وكغيره من المبدعين يعاني من مضض روحي واكتئاب عميق لأن الاكتئاب شرط ضروري للإبداع حسب قول الناقدة العالمية جوليا كريستيفا [3].

فهو ليس سـعيداً شأنه شـأن الروائي العالمي البرازيلي باولوكويليو الذي قال: إني مبتهج ولست سعيداً [4].

إن أكثر ما يوجع روحـي الصمت الذي يقتـل المبدعين والتجاهل المخيف للقامات الإبداعية التي تسـبح في دهاليز التهميش وعندما يموتون تسـيح الدمع في الخدود وتكثر كلـمات العزاء المبللة بالدمع وتبـادر جميع الأطـراف والجهات بمسـمياتها المتنوعة لرفع شـأن المبدعين وذكر مناقبهم وتكريمهم مادياً ومعنوياً وتقام مجالس العزاء عـلى أرواحهم وتتحرك الأقـلام الراقدة وعدسـات التصوير لنقل المشاهد وشـحن العواطف ونثر الذكريات والتذكير بالخصال الفنية والإبداعية والإنسـانية للمبدعين وتنهال عليهم الهبات والشهادات والنياشين وهم تحت التراب.

❋ الهوامش:

1- جهاد فاضـل (أول الطريق إلى الأدب) العربي (الكويـت) العدد 600 (نوفمبر 2008م) ص 210.

2- حوار مع القاص أحمد محفوظ عمر مجلة الكتاب (صنعاء) العدد 3-4 (2006م) ص 83.

3- حوار مع جوليا كرستيفا نزوى (عُمان) العدد 55 (يوليو 2008م) ص 111.

4- حوار مع باولو كويليو العربي العدد 563 (أكتوبر 2005م) ص 107.

❋ الأيام، العدد5792، 12/ 8/ 2014م، ص16.

سليمة مليزي: نغمة لذيذة وصوت عذب *

أجد إيناسي في سماع صوت المرأة الحرة بتموجات صوت الشاعرة سليمة مليزي التي ترفض العبودية والعنف المادي والرمزي الذي يمارس ضد المرأة فهي لا تحب لعبة المناورات والخداع وصنوف اللعب والأخابيث ولا تستسيغ معاملة المرأة كأداة لاستحصال اللذة والنظر إليها من منظور ضيق ألا وهو:

إرواء الشهوات للرجل وتربية الذراري والقيام بالأشغال المنزلية فقط مع استصغار مؤذ لعقلها وروحها وموهبتها والتعامل معها من زاوية طلب اللذة وبحب يحركه الباه بطريقة متعسفة والرغبة الجامحة في التفوق والاستعلاء عليها بضروب من الشر والنقص والظنون الفاسدة في علاقة تحركها الأهواء المتناشزة في العقول المتكلسة التي تعربد برؤوس الرعاع والسفهاء والجهلاء وبمنأى عن قسطاس الحكمة والتبصر والقيم الآدمية السوية.

وبحس عال بالكرامة تنبه الشاعرة سليمة مليزي أهل الباطل وجهابذة الجهل والأجناس الخشنة من الرجال الذين يغلفون الباطل بغلاف إنساني أن المرأة حرة لابد من احترامها والنظر إليها من زاوية عقلية وروحية وإنسانية وعدم اختصار شخصيتها في بُعد واحد ولقد أشارت الدكتورة لطيفة الزيات أن:

« الإنســان مجموعة ملكات – عقلية ووجدانية وحسية وأي اختلال في إشــباع جانب يصاحبه نوع من الإحباط وكلما كان الإشــباع كان التوازن» [1] .

وعلى ســياق متصل أومأت في غير مرة [2] أنــه في زماننا يجنح الناس صوب المحسوســات واللذائذ والمصالح الضيقة والجشــع الفاحش ويهملون العالم الداخلي للإنسان فتصاب كثرة كاثرة من الناس بالخواء الروحي فيغفلون اللياقة في التعامل مع الكائن الأنيق « المرأة « حيث تشــوب علاقتهم بالمرأة بمسحة ســلبية ويتميزون بالبرود العاطفي وخشونة في العلاقات الإنسانية أو على حد تعبير عالم النفس

الأمريكي دانييل جولمان:

« تنقصهم المهارة الأساســية للذكاء العاطفي.. نجدهم صماً بكماً عاطفياً.. وهذا الفشــل في تســجيل مشــاعر الآخر هو أكبر نقطة ضعف في الذكاء العاطفي بل هو فشــل مأساوي في معنى إنسانية الإنسان» [3].

ولقد صدقت الشــاعرة ســليمة مليزي بنبرة حــارة وصوت عذب وبأســلوب راقٍ في التعبــير بجمال الصورة وبلاغــة الإيجاز وجزالة وفخامة القول وبصورة شعرية متأنقة حين قالت في قصيدتها « جموح الحرية»:

دع جسدي يركض كالفرس
حراً في مداه

كاسراً أضلاع القفص

كاسراً قيد خوفك

قيد الحرس قيد العسس قيد الوجس

حراً في علاه

جسدي ليس حكايات

أو شوارد من قصص

ليس عرشاً يملك بالسيف

ليس حرثاً مشاعاً للغصص

لست نزوة ليلية

لست إسفنج غسيل

إنني حريتي مهما يكن

طال الزمن أو عز الثمن

سألقي بين القيود سبيل

دع جسدي حياً في مناه

أنا حريتي حياتي وإلا

ما معنى الحياة

ولست بحاجة للقول أن المبدعة سليمة مليزي موهوبة حتى أطراف أصابعها فهي شاعرة وصحفية وقاصة ومذيعة تركت أصداء صوتها وآثار أقدامها شاخصة في الساحة الأدبية والثقافية في تجربة متميزة.

فبرنامج قراءات للأديبة سليمة مليزي الذي بثته إذاعة الاتحاد العالمي للثقافة والأدب - ثري وحافل باللمعات الإبداعية والصور الخلابة والموسيقى العذبة والصوت الناعم السلس يطير بنا في فضاء أليق عابق بالمسحة الرومانسية والمهارة والجمال ويجوب بنا في دروب الشعر والآهات الكظيمة والصلوات الصامتة والإيقاعات الساحرة والتعابير الباهرة الممزوجة بالمسرات والأحزان والتشامخ والتألق والذكريات وزفرات العاشقين وهتاف روحي مرهف وإيماءات فسيولوجيا الصوت الفخم برنينه الأنيق المشحون بالطاقة الشعرية واللذة الجمالية والفنية ملفوفاً بالدفء والحيوية ومتعة التلذذ بالحزن والشعر والغناء والمد والجزر العاطفي والمفاكهة والمباسمة في أدب اللسان ودقات أنباض الحياة.

الشاعرة سليمة مليزي غاية في الرقة والذوق تحتل مكانة شماء في عروش القلوب ومترعة برائحة الحب والحنين تمنحنا جرعات مكثفة من العاطفة وتنشر المودة والفرح في تجربة شعرية خصبة بحس رقيق ومهذب وتطلق صرخات هادئة في شعرها في غاية الشجاعة والعفة وبتنميقات أسلوبية جميلة وبتموجات صوتية لطيفة تتدفق منها البساطة وعذوبة الانسياب بهندام شعري أنيق وبكلمات ناعمة تلامس الروح وتعابث أوتار القلب.

في شعرها ترمي سليمة مليزي بأسئلتها في الفضاء العمومي وتنثر أحلامها وأشواقها وتقتحم المسالك العصية وتقتل الأرواح الشريرة

وتدمر النفوس المريضة وتحفر في المناطق الغويرة في اللاوعي فالشعر على حد تعبير الشاعر أدونيس:

« طاقة تدفع الإنسان إلى أبعد مما هو إلى أعلى مما هو إلى تجاوز نفسه باستمرار» [4] فشعر سليمة مليزي يتجاوز قوة الألم والغربة ورعشة الخوف وسدف الظلام وبخيالها وقلمها الأنيس الممشوق تركض في مروج وسهول وغابات الشعر ترسم الذكريات والقصص وتبني القصور والسقوف المرصعة والقبب المزركشة وترفرف كفراشة في الفضاء وتسكن جنات الحب والجمال:

حين ترسم ذكرياتي

قصصك الحميمة

تنثر عشقك على جسدي..

وأبني لك قصراً من سلسبيل..

في روحي..

وترانيم صوتك تطربني..

تحرقني..

تقتلني..

ترميني بين خفايا العشق..

أجدك تغفو على صدري..

وأحكي لك قصص ألف ليلة وليلة..

أزرع على جسدك عطر أميرة (إزبال أردن)
أسكنك فيافي شعر نزار
أنثر أزهار قلبي على وجنتيك..
وأمطرك قبلاتي حتى الثمل..
كطفل يحن إلى لعبة الصغار..
يعدو فوق حدائق قلبي
ويقطف ثمار الروح..
ويسكنني جنات الخلد..

الهوامش:

1- لطيفة الزيات وماجدة الجندي في كتاب: حوارات العربي (الكويت: كتاب العربي 83 يناير 2011م) ص 135.
2- سمير عبد الرحمن هائل الشميري المرأة في زمن العولمة (صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر 2009م) ص 100.
3- دانييل جولمان الذكاء العاطفي ترجمة: ليلي الجبالي مراجعة: محمد يونس (الكويت: سلسلة كتب عالم المعرفة 222 أكتوبر 2000م) ص 143.
4- دبي الثقافية (دبي) العدد 40 (سبتمبر 2008م) ص 15.

* جريدة الشعب الجزائرية، 10/ 11/ 2016م.

فاروق شوشة أنيق بلغته الجميلة *

رباه

ما سر هذه التعاسة العظيمة

ما سر هذا الفزع العظيم

« **صلاح عبد الصبور**»

غادرنـــا إلى هدأته الأخيرة الشـــاعر المصري الكبير فاروق شوشـــة (1936-2016م)، بعد أن ترك بصمته الجميلة في وجداننا الشعري والفني، وأغنى قاموســـنا اللغوي بأجمل وأرشـــق العبارات المفعمة بالعذوبـــة والرقة والجمال وبنغمات الألم والحـــزن والحب وبالقوالب البلاغية اللذيذة، فهو بارع الموهبة الأدبية واللغوية والشـــعرية وهرم ســـامق في اللغة والأدب والشـــعر كبـــير القدر كريم النفس شـــديد العذوبة والبســـاطة ومعجون بروح البلاغة والرقة والتشامخ الحسي والروحي وتشـــع الموهبة الشـــعرية واللغوية من بين أصابعه في غاية العمق والتجلي.

لقد تشـــبع باللغة العربية والشـــعر والأدب منذ نعومة أظافره فنمت موهبته الفنية والشـــعرية والأدبية حتى أصبح صاحب ملكة إبداعية من طراز رفيع، حيث يقول:

« ما زلت أذكر زمنـــاً تقضى، من أيام الصبا الجميـــل الباكر، كان فيه معلم اللغة العربية يدربنا على الكتابـــة، وتأمل النصوص والأفكار، وسألنا أن نفيض في التعبير والمقارنة بين شاعرين، يقول أحدهما:

معللتي بالوصل – والموت دونه – إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر

وقول الآخر:

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا[1].

فالأستاذ فاروق شوشة فارس من فرسان الشعر يتميز بسحر البيان فهو آية في الذكاء والشاعرية والحس الرفيع والذوق الأنيق وجمال الروح وعذوبة الألفاظ وماهر في فن زخرفة صوته حيث يسكب لغته في قالب شعري رقيق ويعتبر من أفاضل الشعراء والكتاب الذين أغنوا المكتبة العربية بمؤلفاتهم المرموقة برنينها الأنيق ولعل أبرز مؤلفاته:

أحلى 20 قصيدة حب في الشعر العربي، جمال اللغة العربية، لغتنا الجميلة، زمن للشعر والشعراء.

وأصدر عدداً من الدواوين الشعرية أبرزها:

إلى مسافرة، وجه أبنوسي، لغة من دم العاشقين، لؤلؤة في القلب، العيون المحترقة، سيدة الماء، الجميلة تنزل إلى النهر.

ولقد كان مشغوفاً بجمال اللغة العربية، فالجمال الحقيقي للعربية حسب تعبيره» هو في أن تكون وافية بمطالب الحياة، متسعة للعصر واحتياجاته ومستحدثاته.

فليكن (جمال اللغة) – بهذا المعنى – مجرد مدخل إلى عالم رحب يفيض بالجمال، وشرفة نطل منها على هذا الفردوس البديع: ألواناً وعطوراً وروائح، رؤى وتجليات عقل ووجدان، ومسيرة حياة وإبداع !»[2].

ولســـت بحاجة للقول أنه كان عضواً في مجمع اللغة العربية وأستاذاً بالجامعة الأمريكية وشـــغل منصب رئيس الإذاعة المصرية في الفترة (1994-1997م)، وقـــدم برنامجاً أدبيـــاً في الإذاعة المصرية بصوته العذب الذي يلامس شـــغاف القلب موســـوم ب: «لغتنا الجميلة»، وحاصل على عدة جوائز أدبية مرموقة.

لقد كان يجد ســـلواه في القراءة والـــدرس والبحث وحمل بين جنباته ولعاً بجمال اللغة العربية:

« كثيراً ما كنت أتوقف - أثناء البحث في كنوز لغتنا العربية - أمام نص شعري فاتن، لشاعر عربي عاشـــق، ينطق بصدق العاطفة والشعور، وجمال التعبـــير والتصوير والأداء، وأقول لنفسي: ما الســـبيل إلى أن يضم هذا النص وأمثاله من عيون الشعر العربي، كتاب واحد، يسهل الإطلاع عليه، والرجوع إليه، والطواف بين صفحاته»[3].

لقد مات المبدع فاروق شوشة وهو في كامل عطائه وتوهجه الشعري والفكـــري المترع بالذوق والجمال والبهاء، فهو صاحب صوت متفرد بوهجه الأسلوبي وبمهارته الفنية وبرســـائله المشفرة وبحزنه الجليل وســـتبقى أعماله بألوانها الطيفية مشرقة في جبهة الزمن تحمل السحر والنظارة وحافلـــة باللمعـــات الإبداعية ومصـــدر للرقي الروحي لتهذيب المشاعر وتنمية الذوق الفني والجمالي وإعلاء قيمة الوجدان.

ولقد قال الشاعر:

الخط يبقى زماناً بعد صاحبه

وصاحب الخط تحت الأرض مدفون

الهوامش:

1- فاروق شوشـــة، جمال العربية، (الكويت: كتاب العربي 52، 15 إبريل 2003م)، ص21.

2- المرجع السابق، ص10.

3- فاروق شوشـــة، أحلى 20 قصيدة حب في الشـــعر العربي، (بـــيروت: دار العودة، القاهرة:مكتبة مدبولي، أيلول 1973م)، ص5.

* موقع جنة الإلكتروني، 6/ 2/ 2017م.

بوح على حافة القلب
للشاعرة سليمة مليزي*

سليمة مليزي اسم رقيق تطفق أحرفه الفنية في سماء الشعر وتقرض الشعر برهافة وتفرز: « الكلمات بالطريقة نفسها التي تفرز بها الهرمونات تلك الشفرة الكيماوية التي تنظم حياتنا العضوية» [1].

فالحذاق من الشعراء أمراء ببلاغتهم وسحر إيقاعاتهم وتعابيرهم الباهرة حيث يقول الخليل ابن أحمد الفراهيدي: «الشعراء أمراء الكلام» وعلى نفس المسرب يقول جون كوهن: « الشاعر بقوله لا بتفكيره وإحساسه إنه خالق كلمات وليس خالق أفكار وترجع عبقريته كلها إلى الإبداع اللغوي» [2].

فسليمة مليزي تدلف عالم الشعر متسلحة بالموهبة والثقافة والخيال والذكاء العاطفي وبرونق إحساسها وهندامها الشعري المرقط وكأنها تؤكد على ما قاله الشاعر /

شوقي أبي شقراء: «سلاحي القلم والخيال» (3) فريشتها الشعرية مغموسة بالعشق والحب والحنان وبهمهمات محبوسة في الصدر وفي صوتها نغمة حزن لذيذة تنقر أوتار القلب خفيفة اللفظ لطيفة الوقع ملفوفة بكتلة من الشعور الرقيق:

كتبتك قصيدة..

على دروب الحنين

أحرفها من نور
تعانق أفق الشوق
زرعتها على الخد
على أوراق الشجر
تهفهف بحسي إليك
حين تعبث بها الرياح
تسافر في السحاب
تعصف بروحي إليك
حاملة لك مواسم الوجع
وفصول الاشتياق
تثمر في عز عنفوانها
فاكهة القلب
لك وحدك تشمل روحي
لأنزوي إلى مملكة ودك
لأسكن قصور الأحزان
وأنتظر سجانك
ليرحمني من الترحال
بحثاً عنك في دفاتر أشعاري

وفي قصيدة أخرى تقول:

ما بال الحرف

يتلعثم بين الشفاه

يبحث عن بسمة تزرع على الثغر

ترسم جمال الحرف

بقبل الشوق

وما بال الهمس..

يتعثر على نبرات الجبين

ترسل كنغمة..

تخجل منها العيون

فتأسر القلب الولهان

بالحب المباح..

على شرفات ذاك الخد الملتاع

« لاحظ علماء الاجتماع منذ زمن أن الفنانين هم معماريو الروح الإنساني وعلى نطاق واسع وأن الشعراء هم الذين يشكلون المشاعر الإنسانية» (4).

فعندما تتجمد المشاعر الإنسانية يصاب الإنسان بجمود عاطفي وتتمدد الأمزجة المعتلة ويتفشى الصد الاجتماعي ليخلق شللاً اجتماعياً

– عاطفياً يدمر التفاعل الإنساني النجيب ويتحول الإنسان حينها إلى وحش كاسر يفتقر إلى أبجديات التفاعل الاجتماعي والعاطفي والتعايش والتثاقف الإنساني.

ولقد قال شاتوبريان: «بدون المرأة: يكون الرجل خشناً.. شرساً.. وحيداً.. جاهلاً بمعاني الرحمة.. التي هي عبارة عن ابتسامة المحبة»[5].

وعلى سياق متصل استطاعت شهرزاد في حكاية ألف ليلة وليلة أن تكون في قمة الذكاء العاطفي حيث أبدعت في قراءة مشاعر وأحاسيس شهريار الوحش المجروح الذي وضع النساء في سلة بيض واحدة وأخذ يسفح دماء النساء بعد أن يعاشرهن على الفراش ونظر بحقد إلى المرأة على أساس أنها فقط أداة لاستحصال اللذة ومنبع للمكر والخيانة بعد أن كشف خيانة زوجته مع خادمها مسعود في قصره فقرر أن يداوي جرحه الغوير بفض بكارة العذراوات وقتلهن بعد أن يفرغ شهوته الجنسية.

لقد قتلت شهرزاد روح التوحش في سويداء قلب شهريار وقرأت مشاعره واقتحمت عالمه الداخلي بحوار عاطفي بدد القسوة والتوحش وأعاد التوازن الروحي والعقلي لشهريار بفن التواصل وبسردها القصصي الشائق العذب الذي جعله يلهث وراءها ويؤجل موعد قتلها من يوم إلى آخر إلى أن ولدت له ثلاثة أطفال فاقتحمت فؤاده الحصين وتزوجها لذكائها ولباقة لسانها وتكنيك حوارها وتواصلها النابه مع شهريار بجمال الأسلوب وجرعات الحنان وفيض المشاعر

وسكبت حنانها في وجدانه فحولته من وحش كاسر إلى رجل أليف يتمتع بذكاء المشاعر واللباقة الاجتماعية.

لقد أثبتت شهرزاد أن المرأة كائن اجتماعي عاقل وذكي يستطيع عبر التحاور والإقناع ولغة العقل والبدن والروح وفن التواصل أن يصل إلى الغايات المرجوة.

لم تكن قصص ألف ليلة وليلة وشهرزاد وشهريار غائبة في أشعار سليمة مليزي ببعدها العاطفي والرومنتيكي وببعدها الدلالي والرمزي فقصيدة (أنثى بعمر الضياء) بكلماتها العذبة وبروحها التي تشع بالضياء الشعري الداخلي وبلباقتها وخيالها وتماسكها ودقة حسها ورقة شعورها تحضر بين ثنايا النص الشعري شهرزاد وشهريار:

كأمنيات الندى أنت

تشرق قبل الندى قبل الصباح

تعانق شوقي الذي بعثرته الرياح

وحين يكتمل القمر..

يعاود قلبي الحنين إلى الاعتراف

تحاول رد السنا للسماء

ويركض قلبي يجوب المدى

يفتش عن نجمة المشتهى

كنور توسد كوكبه واستراح

وتكذب لما تظن بأني أنا شهرزاد

وأني أخاف إذا ما اشتهى شهريار

وحين أنا استعيد المكان

أراك تمشط نفس الطريق

لتعثر عن طيفي المستحيل

وتعرف أن ليس لي في الحنان مثيل

وتزعم أنك أنت البديل

وأني به قد جننت

وإني بعينيك حقاً أسرت

وترقب شهد الهوى في عيوني

وتسرق من بسمتي الكبرياء

فالديوان الشعري للشاعرة سليمة مليزي الموسوم ب «بوح على حافة القلب» يقطر عذوبة ورقة وثري بالعواطف الجياشة فهو ترياق روحي لجفاف المشاعر واعتلال الأمزجة يرقي الشعور ويهذب النفوس وفيه ذكاء عاطفي ولغة طازجة سهلة مشــحونة بالطاقة الشعرية والحس الرفيع والذوق الأنيق.

ففي قصيدة (غربة الليل) تقول الشاعرة سليمة مليزي:

حين تهمس روحي لك

تحن عصافير قلبي
تحملني إلى قناديل الحب
لتضيء دروبي المنسية
وصهوة الجسد
ونبع الشوق
تجد المارين
العاشقين
تحت غيمتي
ينتظرون زلال الفجر
يرتوون من قلوب الظمأ
إلا من بقايا عطرك
وروعة حضورك الجنوني
حين تفرش الأرض ربيعها
والحكمة في عنفوان العقل
حينها أستعيد قطار العمر
لأسافر عبر أوردة الحب
لأسكن قصور مملكة الود
المكللة بعناقيد الفرح

الشاعرة سـليمة مليزي ترعرعت في كنف أسرة متمدرسة وعشقت منذ نعومة أظافرها الأدب والشـعر وكان للتنشئة الاجتماعية أفضالها في صقـل موهبتها فهي تنتمي إلى أسرة مثقفة شـجعتها على القراءة والدرس وغرسـت في أعماقها شتلات الحب والجمال والفن والمعرفة فأختها كانت تحثها على القراءة وتمدها بالكتب والمجلات والصحف وجدتهـا كانت طبيبة أعشـاب نابهة تحب العلـم والمعرفة والمحيط الاجتماعـي كان يدفعها برقة ولطف صـوب العلم والمعرفة وكانت تتمتـع بتطويق معنوي جميل من قبل أفـراد أسرتها وفي الفضاء العام لتعويض فراغ الحب الأبوي الذي افتقدته نتيجة استشـهاد والدها في معارك البسالة والفداء ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

كانت تقـرأ بنهم منقطع النظير وتتشـبع بجرعـات ثقافية ومعرفية مكثفة حتى أسست لنفسـها قاعدة فكرية وثقافية متينة انطلقت منها إلى رحاب الإبداع الأدبي وهذا هو شـأن المبدعين والمبدعات كغادة السمان التي تقول:

« حين بدأت الكتابة وكنت صبية شـامية مراهقة كانت لدي طقوس عطر الياسـمين والبخور والحبر الأخضر والـورق المصقول بعدها رحلت طويلاً وتشردت بين محطات القطارات الماطرة نصف العتمة والمطارات المثلجة والمدن العدوانية النائية التي نشتاق للتجارب معها واليوم صار يكفيني عود ثقاب وبطاقة سـفر أو بطاقة (مترو) لأخط عليها ما أكتبه على كل ما أجده في ليلي لحظة شهوة الكتابة بها في ذالك البخار في النوافذ الزجاجية للحانات»[6].

فالكتابة على حد تعبير الروائي الجزائري المرموق واسيني الأعرج: « هي وسـيلتي لغسل الهزائم الداخلية والبحث من خلالها عن صفاء الحرب والحرية»[7].

والإبداع عند الشاعرة سليمة مليزي كما ورد على طرف لسانها:

« ليس له مكان ولا زمان له طقوسه الجنونية أينما يأتيني الإلهام أكتب في المطبخ وأنا أتفنن في إعداد الأطباق الشهية في حديقتي الجميلة التي أعشق ورودها وأنا أقود السيارة... استيقظ في حلكة الليل واكتب. لا حدود ولا قيود ولا وقت معين أكتب فيه فأنا أكتب في كل الأزمنة التي تفتح لي ذراعيها»[8].

لقد نمت موهبة سـليمة مليزي الإبداعيـة ومع مرور الزمن احتلت مكاناً مناسـباً في الفضاء الشعري والأدبي وتطورت تدريجياً موهبتها الشعرية والقصصية والصحفية والثقافية والحيوية الروحية والجسدية وأخذت تذيع أشـعارها وتنشر الفرح والمودة وتفتح مغاليق قلبها في تجربة روحية خصبة فالحب في شعرها بمنزلة الترياق الروحي بصيغه الوجدانية والرومانسية.

يقول الشاعر نزار قباني:

« الحـب مثل غابات الأمـازون كلما تغلغل الإنسـان فيها ضاع. الحب ليس طبق فاكهة نأكله ونشـبع ولا هو جريدة يومية نقرؤها ثم نرميها.. ولا هو فيلم سـينمائي نراه وينتهي الأمر.الحـب هو طموح نحو المعرفة والاكتشـاف والتنبؤ إنه مادة دائمة الاشتعال وسفر بلا نهاية.. وطرح مستمر للأسئلة» [9].

فسليمة مليزي تحب الإنسان والحياة بروح شاعرية وبعمق أدبي وإنساني ترفض التكبر والتجبر وكل معاني الاستعلاء وتتجنب استعراض العضلات ولا تميل للبكاء والنحيب وذرف الدموع وتصنع الأسى وإطلاق الشهقات الحزينة وترفض الترنح بين الوعي والغيبوبة فهي جريئة في البوح ولا تجد حرجاً في البوح بما يجول في خاطرها في فضاء مفتوح من المحبة والتسامح وبلمسات صادقة وبشعر مرهف قوي العاطفة يفتح مغاليق القلب وبتموجات صوتية رقيقة الإشارة ولطيفة الحس وبفؤاد حي ينبض بالمشاعر النبيلة:

برائحة الورد..

وعبق السنين..

كل شيء لا يزال هنا..

بين ناظري منديلك المورد..

وجريدتك المفضلة..

أحرفها تنطق شفتيك عذب الكلام

على طاولة الشاي..

لا تزال رائحتك المنعشة بعطر الحب

ترسم عليها رشفة حنين العمر..

مزهرية الورد..

قطفته لك من حدائق القلب..

تشتاق لنظرتك.. لمستك

وعلى خدود الشوق الملتاع

وطيفك يعانق حضوري

والزمن..

ينبض بأنفاسك..

وكأنها لحظة لم تغب..

وفي قصيدة (تراتيل التمني) تقول:

حلمي تركته يلهو

في أفق الشوق

يشتهي حضورك الغائب

على مسافات حسي

يضرم الاشتياق في فؤادي

يعزف سيمفونية الأصيل

على تراتيل الحس

بنغم الود

أما في قصيدة (سـيمفونية الفصول) تبوح الشـاعرة سليمة مليزي بعشـقها الأنثـوي المتوهج في كل الفصـول والذي يذيـب الجليد والأحاسـيس الصلدة فتطلق الطيور تغاريدها ويمد الربيع بسـاطه

الأخضر ويتوهج الحب اللؤلؤي :
إليك يحن وهجي الأنثوي
وإليك تعصف القلوب برياح موسمية
تصارع الفصول في عز الشوق
تنثر أوراق العمر على دروب الحب
تعانق الأمنيات
وتزهر أغصان الشجر
بلونه الأرجواني..
في حبك يأتي الربيع ألف مرة
والخريف يعزف أجمل سيمفونيات الفصول
والشتاء يخبئ لنا أجمل قصص العشق
في وهج ذاك الحب تنصهر الآهات
لتذيب جليدك السرمدي
وتغرد الطيور في أعشاشها
لتعلن أن الربيع قد عاد
ليحضن ذاك الخد الوردي
ولينضج الحب اللؤلؤي

وبكلمات شـــفيفة منبجســـة من نفس صادقة تطلـــق ومضات دافئة وهمهمات محبوسة في دهاليز الروح رقيقة الإشارة ولطيفة الحس:

كلون السماء حين تغضب..

تنفر روحي

كزخات المطر

تغسل ذاك الوجع

وتمحو أنيني

ترشفني كندى الفجر..

وتبقى سراً في مدى حنيني..

كريح الخريف..

تعبث بسيرورة القلب..

تداعب أصابعك..

بقايا أوراقي..

تلملم ما تركته العاصفة..

ترشفني كشهقة الروح..

وتعيدني إلى بدأ الحكاية

قد لا يكون من الشـــطط القول أن ديوان (بوح عـــلى حافة القلب) يحمل في جنباته روحاً صافية وصلوات صامتة ووجدان شامخة متكئة

على فيض من المشـــاعر في غاية العمق والتجلي وهو رحلة شعرية في جغرافية المشاعر والأحاسيس والعواطف يقرأ ألم الأمة وألم العاشقين ويغوص في أخاديـــد عميقة من الفرح والحـــزن في تلاحم جمالي بين الشكل والمضمون.

قصائد الديوان رائعة بروعة الأنامل التي نسجتها وبروعة الروح التي انبجســـت منها فيه نصوص مفعمة بالبهاء الروحي وبشـــحنة فريدة من الأحاســـيس والحيوية والصدق وحرارة التعبـــير ملفوفة باللذة والتشويق ولا يحتاج الديوان الشـــعري إلى مديح وصخب ومزامير فهو يعلن عن نفسه بهدوء وصمت رصين.

قصائد الديوان معجونة بروح ودم الشـــاعرة ســـليمة مليزي يتناغم مع ســـجيتها وطبعها وموهبتها وتنشئتها الاجتماعية وخيالها الشعري الطليق ويتميز بســـهولة لفظية لذيذة وممتعة تفيض بالحب والعشـــق والأنوثة والصور الفنية الناطقة والمهموسة والخرساء والجرأة التعبيرية ويلامس أوتاراً رهيفة في الوجدان بصوت ناعم وبتماسك فني ولغوي مندغم بحلاوة تركيب العبارة وسلاسة اللفظ وبأبعاد رمزية ودلالية وبمزيج من المتعة والألم والجمال وشهقات العشق ورغائب الحب... وكأنها تقول كما قالت الشاعرة اللبنانية - الفرانكوفونية ناديا تويني:

« شـــعري هو معـــماري الداخلي الخاص إنـــه موســـيقاي وإيقاعي الداخلي...القصيـــدة مكان جغرافي للروح وهي كل شيء إنها كوني. أنا أعيش دون أمن عندما انهي قصيدة وأغلقها أشعر بالأمن.فالكتابة بالنسبة لي نوع من الخلاص والرعب كل الرعب هو عندما يأتي اليوم

الذي لا يقدر فيه الكاتب أن يكتب إنه يفقد مبرر وجوده»[10].

ولقد صدقت الشاعرة سليمة مليزي حين قالت:

« لقد صارت القصيدة المتنفس القوي للتعبير عن ألم الأنثى والصراخ بملء جوارحها لرفض ما تلقاه من تهميش وظلم المجتمع الذكوري وتعسفه في العالم العربي»[11].

الهوامش:-

1- الشاعر المجري لوران غسبار في كتاب: خالد النجار سراج الرعاة: حوار مع كتاب عالميين كتاب الدوحة (الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث - دولة قطر فبراير 2014م) ص 64.

2- مجلة الرافد (الشارقة) العدد 93 (مايو 2005م) ص 116.

3- حوار مع الشاعر شوقي أبي شقراء نزوى (عمان) العدد 30 (ابريل 2002م) ص 145.

4- الشاعر اليوناني يانيس ريتوس في كتاب:خالد النجار مرجع سابق ص 21.

5- صحيفة 14 أكتوبر (عدن) السنة 41 العدد 14394 (1/ 3/ 2009م) ص 11.

6- حوار مع غادة السمان دبي الثقافية (دبي) العدد 117 (فبراير 2015م) ص 25.

7- حوار مع الروائي الجزائري واسيني الأعرج نزوى العدد 56 (أكتوبر2008م) ص 117.

8- حوار مع الشاعرة سليمة مليزي جريدة مصر الحبيبة: www.elqmicwp.com

9- نزار قباني وسعاد الصباح في كتاب: حوارات العربي (الكويت: كتاب العربي 83 يناير 2011م) ص 78- 79.

10- الشاعرة اللبنانية- الفرانكوفونية ناديا تويني في كتاب: خالد النجار مرجع سابق ص 182.

11- الشاعرة سليمة مليزي « المرأة الجزائرية متحررة » موقع: وكالة أخبار المرأة Woman.

* الصدى.نت،7/ 2/ 2017م.

إني اكره أصنام الثقافة *

قال الشاعر:-

لا تحسبوا كل من ذاق الهوى عرف الهوى

ولا كل من شرب المدام نبيذ

ولا كل من طلب السعادة نالها

ولا كل من قرأ الكتاب فهيم

إني اكره الأصنام، أصنام الثقافة وأصنام السياسة وأصنام العبادة ...

فعندما يتحول المثقف الى صنم للعبادة والتأليه، تفسد الحياة الثقافية، وينسلخ المثقف عن الثقافة، ويتحول الى واعظ كهنوتي، فالإبداع لديه طنطنة ثقافية، ومواعظ ونصائح وبابوية ورياء مقزز، أو بالأحرى رياضة لسانية تلوكها الأفواه، فأصنام الثقافة تدعي امتلاك الحقيقة، ولا تريد ان تسقط شعرة من الرأس إلا بأذنها، فهي تضخم العاديين وتحولهم الى أنصاف آلهة، وتقزم المبدعين وتكبت أنفاسهم، و لا تريدهم أن يتنفسوا إلا بأذنها وبإشارة من مقامها الكريم.

أصنام الثقافة تعرف كل شئ وتبدع في كل مشارب وصنوف الأبداع،وتتمعق في قسط أكبر من تصرفاتها غير مكترثة بأذواق ومشاعر الآخرين.

يقول الأستاذ/ أحمد بهاء الدين:

«ويبــدو أنه لا يوجد في عالم اليوم مفكــر واحد راض...عن اولئك (الكتبة) لا (الكتاب) الذين يملــؤون الصحائف كل يوم اما بتملق حكامهم أو بتملق قرائهم

بتملق أنفســهم، هؤلاء الذين يعيشون بالغرائز لا بالمشاعر، بالنقل لا بالعقل، ربما كانوا أحد أوبئة الحضارة التي جعلت النشر سهلا واسعا ميــسرا، ولم يعد «باباً ضيقاً» كما كان في الماضي عندما كان لا يظهر إلا الجديرون الذين يشقون ويتعبون ويرهقون الناس معهم، عملاً بكلمة الإنجيل (اجهدوا للدخولمن الباب الضيق»)

فهــؤلأ لايتميزون بالعمق والنطاســة وســعة الإدراك، وإنما ببلادة الأذواق والمشــاعر، وبمواهب، إبداعية ركيكة..فهم ســطحيون في فكرهم ومشــاعرهم، وعاجزون عن الخلق،وبعيــدون عن الركب ونكهة الإبداع ويغردون خارج سرب الإناقة والتألق الفكري والثقافي والأدبي.

وفي هذا الســياق تندرج الشلل الثقافية،والتي تلحق الأذى بالمبدعين وترفع مقام المتملقين وغير الموهبين، وتمارس خداعاً على غير وجه.

إن الشــلل الثقافية تفقأ عين الإبداع،وتشــكل شوكة مؤذية في خاصرة المشــهد الثقافي، حين لا تتميز بالنزاهة والشفافية، ويغلب على مسلكها العواطــف والتعصب والغيرة الممقوتة، وتغفــل اللياقة في التعامل مع المبدعين، فهذة الشُــلل تغير مكياجها ما بين الفينة والأخرى، وتضيف حمولة من التعاسة والقســاواة على كاهل المثقفين والمبدعين، إنها تشوه

مساحة الإبداع الثقافي وتغذي الأذواق والضمائر بثقافة فنية وجمالية زائفة في غير مكان وغير مجال.

ولقد كان محقا المبدع/ يوسف سامي اليوسف حين قال:

«هؤلأ الثرثارون، الذين يلاشون كل شيئ في لجة الكلام الزائف، هم أعجز الناس عن رؤوية الوظيفة الروحية للكتابة الأدبية. وهم وإن كانوا يعملون من أجل هدف، فإنما يعملون من أجل إزالة الأصالة، أو ما تبقى منها، في عصر هيمنت النذالة حتى على نقي عظامه».

فمتى يمكن أن نتسامى عن الصغائر ؟ ومتى يمكن أن تكون نظرتنا ثاقبة وبعيدة النظر، تنظر الى ابعد من أ رنبة الأنف ؟ !!. في كل المجتمعات الصغيرة والكبيرة توجد الأنانية والنرجسية والحقد والغيرة والخوف والكراهية والحسد ... إلا أن هذه الأحاسيس والمشاعر البشرية لها حدود، وسقوف معينة، فإذا ما فاقت هذه المشاعر حدها المعقول تتحول إلى مرض نفسي، وتحول فضاء الثقافة والإبداع إلى عُقم وبلادة، وتصيب المبدع الحقيقي بأسوأ أنواع القهر والإذلال والإنكسار الروحي، وتشكل تربة خصبة لإستشراء الزيف والجمود والسماجة الثقافية والإبداعية.

* الصدى.نت، 20/ 1/ 2018م.

نتضامن مع اتحاد الأدباء*

أمر فاحش أن تخنقنا أصابع الجهل ويتم السطو على مقر اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بمدينة عدن والذي يضاف إلى سجلات الحرب والنهب والسلب وتدمير القيم المدنية التي تتعرض لها المدينة الأنيسة عدن.

هذا زمن التوحش والتسافك في الدماء، زمن الفسق والفجور، زمن الظلمة والانكسار، زمن الوحوش الضارية التي تلهث خلف شهوة البطن والفرج وتلتهم كل شيء بدون عقل ولا بصيرة، وتدوس بأنعالها الحقوق والكرامة العقلية والمصلحة العامة وآدمية الإنسان.

إن منطق الاستقواء والسيطرة على كل شيء بدافع الغرور والقوة والاستكبار هو منطق باطل يتقاطع مع القوانين والنواميس والأخلاق الدينية والسياسية والاجتماعية.

فالقوة لا تدوم ويبقى الحق ناصعا في كل العصور وإن طمرته الأيادي الخبيثة التي تخاف كل شعاع للنور والحق والفضيلة والجمال.

نتضامن بكل جوارحنا مع اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ونناشد بيوت العدل وحماة القانون والانتظام العام وجميع الأطراف بكل مسمياتها أن تنصف اتحاد الأدباء وتعيد الحق المغصوب إلى أصحابه.

لقد بلغ السيل الزبى وبلغت القلوب الحناجر وبلغ الظلم حدا لا يحتمل، ولا يجوز أن نتصامم عن حق واضح كمقلة شمس في سياق

متراكم من الحرب والخراب والجرائم والنهب وتدمير الثقافة الحضرية وانحطاط القيم وانهيار صواميل الدولة وقواعد الضبط الاجتماعي.

أهل السفه والفجور جرفوا الثروات ودمروا الرأسمال البشري وقمعوا العقل المنير وزيفوا الوعي ورسخوا القبح ومحو الذاكرة الوطنية، إننا نتأذى من وقاحتهم وتجاسرهم واصرارهم على الاستعلاء والاستبداد والصلافة والدمامة وترسيخ الفوضى والغوغائية والسنن البهائمية.

ارفعوا أيديكم عن مقر اتحاد الأدباء وكفاكم تحقيرا للشعب وأرباب الأقلام الذين ينافحون من أجل النماء والسلام والوئام الاجتماعي والتسامح وتحرير الإنسان وجغرافية العقل من العتمة ويقفون ضد الفساد وضد ترسيخ الأقدام الهمجية ومن أجل نهضة العقل والحرية واحترام حقوق الإنسان وتحرير الطاقة الإبداعية من الدنس وسدف الظلام..

* الأيام، العدد، 6244، 31/ 5/ 2018م، ص 20.

العراق يتحطم أمام أعيننا*

أشعر بغصة ألم في حنجرتي عندما أرى العراق يتحطم أمام أعيننا.

العراق حطمته النخب الفاسدة والمحاصصات الطائفية والحزبية والفئوية الضيقة والحروب والمنازعات السياسية والثأرات والجهل والعقول الصلدة والذهنية الانتقامية والمؤامرات الخبيثة.

أشعر بألم يفري قلبي عندما أرى الخراب والدمار وحمامات الدم وتحطيم العمران الحضري، عندما أرى الفقر والجهل والجوع والمرض يفتك بالعراقيين، وأشعر بسكينة روحية وبنسمة أمل عندما أرى الشارع العراقي ينتفض ضد سياسة الفساد والإفقار واللصوصية، وينشرح فؤادي برؤية الشباب الواعي الذين طفح بهم الكيل وهم يقاومون الطغيان والتزمت العقائدي والمذهبي ويترنمون بحب العراق ويرفضون الصراعات الطائفية والعرقية والتقسيمات القاتلة للشعب العراقي التي جلبت الخراب والبوار والظلم والتشرر.

نتمنى من أعماق قلوبنا أن ينتصر الشعب العراقي الأبي في معركته من أجل الحرية وأن يكسر الأصفاد التي تكبله.

لقد تفاحش العوز والفساد والباطل وانكشفت الشعارات الطائفية الفضفاضة التي مزقت العراق الشامخ وقطعت أوصاله بالعنصرية والشعوذة والكيد وبسموم قاتلة لعزة العراق ومجده.

المجد للعراق الشامخ عراق التنوع والتسامح والإخاء والمحبة والوئام والعدالة والإنصاف.

لابــد من كسر الحلقة الشريرة وإزاحة الوجــوه القذرة المتخفية تحت ستار التقى والدين والطهارة التي تغلف الباطل بغلاف الحق.

لابد مــن إزاحة السُراق وعتاولة الفســاد الذين جفــت فيهم روح الوطنية وطغوا وبغوا وامتدت أيديهم إلى أموال الشعب.

لابــد أن ينبلج فجر جديد يتجــاوز المحن والحــروب والعصبيات والكراهية والفوضى والفساد ويعيد العزة والكرامة والبهاء للعراق.

أنا موقن أن فجراً جديداً ينتظر العراق طال الزمن أم قصر.

ولقد كان الشاعر/ بدر شاكر السياب في غاية العمق والتجلي وبوهجه الإبداعي وبفراســته ونقاء بصيرته والتماع خياله حين قال في قصيدته (أنشودة المطر):

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَرْ،

أو شُرفتان راحَ ينأى عنهما القمرْ.

عيناكِ حين تَبسمانِ تورقُ الكروم.

وترقص الأضواء... كالأقمار في نهَرْ

يرجّه المجذاف وهناً ساعة السَّحَرْ

كأنما تنبض في غوريهما، النّجومْ...

وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيفْ

كالبحر سرَّح اليدين فوقه المساءْ،

دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريفْ،

والموت، والميلاد، والظلام، والضياءْ؛

فتستفيق ملء روحي، رعشة البكاءْ

ونشوةٌ وحشيّةٌ تعانق السماءْ

كنشوة الطفل إذا خاف من القمرْ!

كأن أقواس السحاب تشرب الغيومْ

وقطرة فقطرةً تذوب في المطرْ...

وكركر الأطفالُ في عرائش المكرومْ،

ودغدغت صمت العصافير على الشجرْ

أنشودةُ المطرْ...

مطرْ...

مطرْ...

مطرْ...

تثاءب المساء، والغيومُ ما تزالْ

تسحُّ ما تسحّ من دموعها الثِقالْ.

كأنّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينامْ:

بأنّ أمّه التي أفاق منذ عامْ

فلم يجدها، ثمّ حين لجّ في السؤالْ

قالوا له: (بعد غدٍ تعودْ..)

لابدّ أن تعودْ
وإنْ تهامس الرفاق أنها هناكْ
في جانب التّل تنام نومة اللّحودْ
تسفّ من ترابها وتشرب المطرْ؛
كأن صياداً حزيناً يجمع الشِّباكْ
ويلعن المياه والقَدَرْ
وينثر الغناء حيث يأفل القمرْ.
أتعلمين أيَّ حُزنٍ يبعث المطرْ؟
وكيف تنشج المزاريب إذا انهمرْ؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياعْ؟
بلا انتهاء كالدَّم المراق، كالجياعْ،
كالحب، كالأطفال، كالموتى هو المطرْ!
ومقلتاكِ بي تطيفان مع المطرْ
وعبر أمواج الخليج تمسح البروقْ
سواحلَ العراق بالنجوم والمحارْ،
كأنها تهمّ بالشروقْ
فيسحب الليل عليها من دمٍ دثارْ.
أصيح بالخليج: (يا خليجْ

يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والرّدى!)

فيرجعُ الصّدى

كأنه النشيجْ:

يا خليج

(يا واهب المحار والردى..)

أكاد أسمع العراق يذْخُر الرعودْ

ويخزن البروق في السّهول والجبالْ،

حتى إذا ما فضَّ عنها ختمها لرّجالْ

لم تترك الرياح من ثمودْ

في الوادِ من أثرْ

أكاد أسمع النخيل يشربُ المطرْ

وأسمع القرى تئنّ، والمهاجرينْ

يصارعون بالمجاذيف وبالقلوعْ،

عواصف الخليج، والرعود، منشدينْ:

مطرْ...)

مطرْ...

مطرْ...

وفي العراق جوعْ

وينثر الغلالَ فيه موسم الحصادْ
لتشبع الغربان والجَرادْ
وتطحن الشّوان والحجرْ
رحىً تدور في الحقول... حولها بشرْ
مطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
وكم ذرفنا ليلة الرحيل، من دموعْ
ثمّ اعتللنا خوفَ أن نُلامَ بالمطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
ومنذ أنْ كنّا صغاراً، كانت السماءْ
تغيمُ في الشتاءْ
ويهطل المطرْ،
وكلَّ عام حين يعشب الثرى نجوعْ
ما مرَّ عامٌ والعِراق ليس فيه جوعْ.
مطرْ...
مطرْ...

مطرْ...
في كل قطرةٍ من المطرْ
حمراءُ أو صفراء من أجنَّة الزَّهَرْ.
وكلّ دمعةٍ من الجياع والعراةْ
وكلّ قطرةٍ تُراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسم جديدْ
أو حُلمةٌ تورَّدتْ على فمِ الوليدْ
في عالم الغد الفتيّ، واهب الحياةْ!
مطرْ...
مطرْ...
مطرْ...
سيُعشبُ العراق بالمطرْ...
أصيح بالخليج: يا خليج..
يا واهب اللؤلؤ، والمحار، والردى !)
فيرجع الصدى كأنّه النشيج:
(يا خليج
يا واهب المحار والردى)
وينثر الخليج من هِباته الكثارْ،
على الرمال: رغوه الأُجاجَ، والمحارْ

وما تبقّى من عظام بائسٍ غريقْ
من المهاجرين ظلّ يشرب الردى
من لجَّة الخليج والقرارْ،
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرَّحيقْ.
من زهرة يربُّها الفرات بالنَّدى
وأسمع الصدى
يرنّ في الخليجْ
مطرْ...)
مطرْ...
مطرْ...
في كلّ قطرةٍ من المطرْ
حمراء أو صفراء من أجنَّةِ الزَّهَرْ.
وكلّ دمعة من الجياع والعراة
وكلّ قطرةٍ تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسمٍ جديدْ
أو حُلمةٌ تورَّدت على فمِ الوليدْ
في عالم الغد الفتيّ، واهب الحياة.)
ويهطل المطرْ...

* الصدى.نت، 15/ 10/ 2019م.

عبد الرحمن السقاف- حياة مغموسة بالشعر *

في تجوالي الشغوف في أزقة حارة القاضي (حافة القاضي - كريتر- عدن)، أشعر بحنين خاص لطفولتي، فهذه الحارة العتيقة تسكب أحاسيسها الحارة في وجداني.

هنا في أزقة هذه الحارة تشدك الذكريات للفنان أحمد قاسم، وفتحية الصغيرة ،وحسن وحسين فقه، وأبو بكر سالم بالفقية، ونبيهة عزيم، ورجاء باسودان، وصباح منصر، وأم الخير عجمي، ووديع هائل، والموسيقار يحيى مكي، وعازف الكمان نديم عوض، والمؤلف والمخرج والممثل محمد مدي....

في قلب حارة القاضي يعيش الشاعر عبد الرحمن السقاف، وعلى بعد أمتار من مسجد جوهر التاريخي وقبر المظلوم، هذا الشاعر المكلوم تخرج من أعماقه القصيدة طازجة كسمكة شهية من بحر صيرة دون تكلف في الصنعة.

لقد شد انتباهي رأي للشاعر الكبير محمد سعيد جرادة في 8/ يناير/ 1989م، عندما أخذ يتحدث عن هبوط مستوى الشعراء الشباب في تلك الحقبة الزمنية، وأنتقد بشدة غير الموهوبين أصحاب الأحاسيس الصلدة والفاقدين لنكهة الشعر والمتكلفين في الصنعة والإبداع، وأستثنى من هؤلاء الشاعر الشاب عبد الرحمن السقاف.

لقد كان للشـــاعر أحمد شريف الرفاعي فضل محمود في رعاية الموهبة الشعرية لعبد الرحمن السقاف وأخذ بيده صوب عالم الشعر، في الوقت الذي نشاهد فيه اليوم مناظراً تثير العبوس في النفس، حيث أن الكبار من الشـــعراء والأدباء يهملون المواهب الشعرية الشابة والتي في أمس الحاجة للرعاية والدعم النفسي والمعنوي.

فالشـــاعر عبد الرحمن السقاف كتلة ملتهبة من المعاناة الإبداعية يتميز بدقة الصورة الشـــعرية وحرارة التعبير ورهافة الحس ويقرأ تفاصيل الزمان والمكان، ويلامس بمشاعره شـــهقات الناس الحارة والوجع الإنساني العام.

فلكل مبدع طقسه الخاص في الإبداع،فالروائي المصري جمال الغيطاني قبل كتابة النص الروائي يتشبع بسماع الموسيقى ويمارس رياضة المشي ويقرأ الشعر.

وثمة من يمارس عمله الإبداعي في طقوس إستثنائية: فمنهم من يخزن القات عند الكتابة، وآخرون يحبون الجلوس في الظلام، وفريق ثالث يلبس الحلل الجميلة ويتعطر ويتوضأ.

فالشاعر محمد الماغوط (1934 – 2006م)، في لحظة الإبداع الشعري أو المسرحي ينسى ذاته، ولا يأبه لمن حوله ويبقى فقط بثيابه الداخلية.

وثمة من يـــسرف في شرب القهوة والمنبهات، وزمـــر إبداعية أخرى تســـتمتع بمنظر الأقـــلام الكثيرة التـــي جمعتها فوق طاولـــة الكتابة وتكسرها بعد الانتهاء من الكتابة مثلما كان يفعل المفكر الفرنسي فولتير

(1694 – 1778م). وصنف من المبدعين يكفون عن تناول الطعوم والأشربة في لحظات الإبداع.

فالشاعر عبد الرحمن السقاف مرهف الحس ومفعم بشحنة فريدة من القلق الإبداعــي، ينتقل من غربة إلى غربة، ومن وجع إلى آخر، ويمر بمراحل شــائكة وعصيبة من المعاناة، فتولــد القصيدة جميلة الجرس عالية اللذة وناعمة كقطرات الندى وشــهية كالأحلام الرومانسية. فالقصيدة عند الشــاعر عبد الرحمن الســقاف – هي الحياة والحركة والديمومة، وهي الشــفاء من علل الجســد وأوجــاع الروح، ومنها يشفى من الإكتئاب الإضطرابات الروحية الغليظة، وكأن لسان حاله يقول كما قال الفيلسوف كيركغادر (بالإبداع أشفي نفسي من أوجاعي وهمومي).

وكم مرة حاول الشاعر عبد الرحمن الكف عن كتابة الشعر، فطاردته القصيدة في الشــارع وفي قلعته الصغيرة (المنزل)، وفي ســكون عالمه الداخلي.فتصطاده القصيدة كما يصطاد الصياد الماهر فريسته.

وعندما كان يســير الشاعر عبدالرحمن السقاف بأقدام خرساء في أزقة وشوارع مدينة عدن يسكنه الحب والشــعر ويغني لهذه المدينة حيث يقول:

سلام عدن

..حواري عدن

بخور عدن

والعذارى ربيع

وماء..

ووجه حسن

والصباحات تجري

بسحر وفن

والشموس تغني بصوت أغن

والقوارب تمضي ببحر

وتأتي بأخر

وتسكب حلما

بهي المناظر

وتهتف كل العيون السواحر

عدن يا عدن

سلام عدن

فحياته مغموسة بالشعر، والقصيدة هي الرئة التي يتنفس منها الهواء، فهي شـــمعة أمله لتجاوز العتمة الدامسة، ولمصافحة أنامل الصباح، فينتج نصوصاً شعرية عالية الجودة.

يقول الشاعر العراقي سركون بولص:

(الشــعر موطني وامرأتي وحياتي ... أنا لم أســع للشعر وإنما هو من استعمرني وخلق من قلبي وقلمي مستوطنة لم تجاهد من أجل التحرير ... إن كل شـــاعر هو صياد والأبرع هو من يصطاد الأجمل والأبهى والأندر).

* الصدى.نت،7/ 10/ 2018م.

بلاغة في الشعر واللسان *

الشاعر فاروق شوشة (1936-2016م)، رقيق الحاشية رفيع الثقافة، مبدع سكر بخمرة الجمال ولامس الجذر الإنساني في أعماقنا، فهو صادق العاطفة والشعور، يقطر عذوبة ورقة ويزخر بصدق العاطفة وحرارة الوجد، ويتميز بخيال فني خصيب وبكثافة الشحنة العاطفية وبرسوخ قدمه في الشعر واللسان والبلاغة، عشق اللغة الجميلة التي تكون حسب تعبيره: «أكثر جمالاً حين تصبح لغة قضية وفكر، لغة إشعاع وتنوير، لغة مُثل عليا وقيم رفيعة نبيلة. عندئذ يكتمل جمال المعنى والمبنى».

في غميس حياته الإبداعية لم يسلم من الصقاعين ومنتحلي الفضائل ولا من حسد الحاسدين الذين استوطنت الخسة في نفوسهم وذهبت عنهم مذاهب الحشمة ويقذفون من ألستهم المذمومات دون احتياط، ولقد قال الشاعر/ محمود درويش في هذا السياق:

«عندما تكون إنساناً عفوياً قد تقع في مشاكل لم تتوقعها، لأن النقاء بداخلك لم يتوافق مع التلوث الذي تعج به عقول بعض البشر».

وكان محقاً الشاعر/ عمر الخيام حين قال:

صاحب من الناس كبار العقول

واترك الجهال لأهل الفضول

واشرب نقيع السم من عاقل

واسكب على الأرض دواء الجهول

الشـاعر فاروق شوشـة لم يطيق نزعة التصنيف البائسـة وأصوات الضجاجين أصحاب الألسـن الطويلة الذين ينسـبون إلى أنفسهم أسـمى الفضائل وأحسـن الشـمائل ويرمون الآخرين برصاصات مسـمومة وبمقولات مرجوحة ويوزعون الصكوك الوطنية بينما هم غارقون في الرذائل يسـجدون ويركعون لأهل الشوكة والقوة والمال حيث قال:

خدم.. خدم !

وإن تبهنسوا

وصعروا الخدود كلما مشوا

وغلظوا الصوت

وطرقعوا القدم !

خدم.. خدم

وإن تباهوا أنهم

أهل الكتاب والقلم

وأنهم في حلكة الليل البهيم

صانعو النور

وكاشفوا الظلم

وانهم – بدونهم

لا تصلح الدنيا

ولا تفاخر الأمم

وفي قلوبهم..

أمراض هذا العصر

من هشاشة

ومن وضاعة

ومن صغار في التدني

واختلاط القيم

فاروق شوشة مكين في الشعر والنثر وفي حفر المناطق الغويرة في اللاوعي وكتاباته اللامعة سيخلدها الزمن ونحن في الذكرى الثانية لوفاته (توفى يوم الجمعة 14/ أكتوبر / 2016 م)، نتذكر إبداعاته بألوانها الطيفية وصوته الفاخر بجرسه الأنيق الذي يعطي للكلمة ارتفاعاً محموداً بروح شاعرية ماهرة نابضة بالجمال والحيوية واللذة الحسية والروحية.

لقد أومأت قبل حين: أن المبدع فاروق شوشة مات وهو في كامل عطائه وتوهجه الشعري والفكري المترع بالذوق والجمال والبهاء، فهو صاحب صوت متفرد بأسلوبه ومهارته الفنية وبرسائله المشفرة وبحزنه الجليل.

ســتبقى أعماله مشرقة في جبهة الزمن تحمل السحر والنظارة وحافلة باللمعات الإبداعية ومصدراً للرقــي الروحي وتنمية الذوق الجمالي وإعلاء قيمة الوجدان.

لا تطاوعني نفسي على ذرف الدموع على شاعر مرح سابح في ملكوت الــروح يطفق في فضائنا الروحي والإبداعي في حياة مديدة الرحاب، وكأن لسان حاله تقول كما قال جمال الدين الرومي:

عندما ترون جثماني

لا تبكوا لأنني أرحل

أنا لا أرحل

أنا أصل

إلى الحب الخالد

عندما تتركوني في القبر

لا تقولوا وداعاً

تذكروا أن القبر

ليس سوى ستارة

وأن الفردوس يكمن خلفها

* الصدى.نت، 27/ 10/ 2018 م.

قاص له فرادته الإبداعية *

القاص / عبدالله سالم باوزير بسيط ومتواضع ظل طوال حياته يبحث عن الحقيقة ويغوص في الجغرافيا الإنسانية وخاض سلسلة موجهات من أجـل الحق، فالنــاس (لا تحب الحقيقي والبســيط، الناس تحب الأساطير والخدع)، على حد تعبير إيدموند ذوغونكور.

يقول الروائي الســوري حنا مينة (الوقوف إلى جانب الحقيقة يرتب على صاحبه التزامات كثيرة، أقلهــا الحرمان والجوع والمرض).. لقد دأب القــاص عبد الله ســالم باوزير منذ نعومة أظفــاره على البحث عن الحقيقــة والدفاع عنهــا، والتصق بحركة ونبض الشــارع، فهو بســيط بروحه وقلبه وســلوكه، وهذه البســاطة نلمحها دون عناء في قصصــه القديمة والحديثة: الهديــة، الزائر، ســلام كثير، ناصر، الفقيــد، الأعور، الحذاء، يــا طالع الفضاء، (اليوم الذي ســقط فيه رأسي).. ففي (اليوم الذي ســقط فيــه رأسي) يتحدث القاص بلغة بســيطة وسلســة عن يوم مولــدة: (في 3 مــارس 1938م صرت واحدا من ســكان كوكبنا الأرضي، ومن فصيلــة بني البشر بالذات، عــليّ منذ اللحظــة الأولى أن أتطبــع بطباعهم واحــذوا حذوهم في حماقاتهم، وأكتوي بنيران بؤسهم وشقائهم، ولعل هذا جعلني أصرخ بملء فمي احتجاجا على هذا الوجود).

القاص المبدع عبد الله ســالم باوزير له فرادتــه الخاصة لا يقيم في قوقعته ولا يعيــش في برج عاجــي، بل ينزل بقدميه إلى قاع المجتمع يتحســس

شجون وآهات وآلام الناس ممن مستهم البأساء والضراء، يتصرف بطريقة متمردة ويحتج على الترجرجات والخروم الاجتماعية ويقف ضد تسميم الفضاء العام والوئام المدني، ففي قصة « الحذاء» يشمئز وزوجته من الجار الجديد (الجندي) الذي ينتعل حذاء ثقيلاً ويوقض الناس من رقادهم في هدأة الليل، ويثقب بخطواته صمت المكان بصلف وتجبر وغير مكترث براحة وسكينة الجيران ولا يشعر بالخجل والتأسف.

وفي قصة « الأعور» ينتقد التعالي والغطرسة في التعامل مع الناس و زملاء المهنة، ويمجد العم مرشد مساعد الطبيب، الذي أحب الناس فأحبوه، وأخلص لشرف المهنة فصارت المحبة والشفافية مفردة من مفردات حياته اليومية، وبعد حين يغير الدكتور مسئول العمليات بآخر، حيث غير كل معاني الألفة والتضامن المهني بتبجحه وغروره الخالي من صفة الجودة والإبداع الوظيفي فانفض الناس من حوله.

إن الكتابة عند القاص باوزير صارت جزءاً من نسيج حياته اليومية لذيذة كقهوة الصباح، وأبطاله يعيشون بيننا في شوارعنا، في ساحاتنا، في منازلنا، في مؤسساتنا، في محيطنا الاجتماعي، ويجد متعته اليومية في التخالط مع العامة ومشافهتهم، ويرتسم خطاهم بفن متحسساً الواقع بأنامله ووجدانه ومنقباً عن الحقيقة.

ففي التجول الشغوف في الزعفران وسوق الطويل وحافة الشريف وحافة القاضي.. يمشي بخفة متأبطاً في يده جريدة أو مجلة أو كتاباً، وفي الأخرى يحمل خبزاً أو أمتعة منزلية ويتشبع بالواقع وحركة إيقاعه السريع مبتعداً عن الغرور والرطانة النخبوية الكريهة.

فالقـــراءة والكتابة تشـــكلان هويته الفكرية والوجدانية لا يســـتطيع أن يتنفـــس بدونها، وهما أداتان لفســـحته الروحية لمقاهرة الصعاب، وللنفـــاذ إلى عمق الوجدان الاجتماعي، ولممارســـة دائرة الاهتجاس، وبسط الاستفســـارات والتأملات التي تبزغ ما بين الفينة والأخرى، فالكتابة على حد تعبير الروائي العالمي إرنست همنغواي «هي الرذيلة الكبرى، واللذة الكبرى، ولا فكاك منها سوى الموت».

إن القاص المبدع عبد الله ســـالم باوزير لا يستخدم يراعه لتأنيق القبح أو للتزلـــف والرياء، إنه يحك بين أنامله (ذلك الســـيف الذي يدعى القلم، ويشـــهر الفكر حربه المجيدة.. حرب الروح على المادة، حرب الحكمـــة على الزهو، حرب الحصافة على الغـــرور، حرب العدل على الطغيان،حـــرب الكرامـــة على التطفل، حرب الحـــق والواجب على التجهم والخمول، بل حرب العمل والصلاح السائرة بالإنسان نحو صروح الارتقاء والضياء) « مي زيادة».

❋ الصدى. نت، 3/ 11/ 2018م.

عدن لم تعد حضنا للثقافة والتنوير*

عندما كنت صغيراً

وجميلا

كانت الوردة داري

والينابيع بحاري

صارت الوردة جرحا

والينابيع ظمأ

- هل تغيرت كثيرا؟

- ما تغيرت كثيرا

عندما نرجع كالريح

إلى منزلنا

حدقي في جبهتي

تجدي الورد نخيلا

والينابيع عرق

تجديني مثلما كنت

صغيرا

وجميلا... «محمود درويش»

كنت دون العاشرة من عمري مع أترابي مــع الأطفال نعابث بعضنا بعضاً ونتراشق بحبيبات الطماطم والبطاطس في شارع مزدحم يمور بأمواج من البشر، إنه شــارع الزعفران الــذي له نكهة وطعم مدينة كريتر (عــدن)، وبينما كنا نلعب ونجري ونشــاغب ونعيق حركات المارة والســيارات أمام مخبز الأغبري و مخبازة علي أفندي التي بنيت (1925م)... أخد يصرخ الأســتاذ/ عبد القــادر خضر: حتى أنت ياســمير بلا أدب !!!، فتسمرت في مكاني وأخدت أتصفح وجه هذا الرجل الأســمر الذي انتخبني من بين أصدقائي وخفت أن يشكوني إلى أهلي ومدرستي.

كانت هذه أول مرة أعرف فيها الأستاذ/ عبدالقادر خضر وجهاً لوجه بعيداً عن الأثير وشاشات التلفزات الفضية وبعد حين التقيته صدفة واعتذرت له ما بدر مني من سوء.

في غير مرة شجعني الأستاذ/ عبد القادر خضر على الظهور في برامجه التلفزيونية والإذاعية كموهبة شــابة تقرض الشعر وتتعشق الأدب والفن، وكان ذلك في بداية سنوات تكويني الثقافي.

اذكره جيداً عندما كان يمشي راجلاً في الشــوارع والأزقة والحارات العتيقة ويمر بقرب دارنا مفعما بالحيوية والنشاط يتأبط حفنة من الصحف والمجلات، كنا نشــير إليه بسباباتنا: إنه الاســتاذ/ عبد القادر خضر

مكتشف المواهب الفنية والثقافية واللبق بلسانه وعقله والأسطع حضوراً في البرامج التلفزيونية والإذاعية.

في حديث ماتع مع الأستاذ/ عبد القادر خضر (أغسطس 2006)، في منتدى الفنان محمد سالم بن شامخ في المعلا، حدثني انه تزامل مع أبي في سلك التدريس بمدرسة بازرعة، وواكب الحياة الفنية لعمي الفنان وديع هائل، وكان يؤم مقيل جدي هائل شميري في حارة القاضي كريتر- عدن ما بين الفينة والأخرى.

لقد ترك فراغاً فنياً وثقافياً بعد موته في مدينة عدن والفضاء العمومي، فعدن لم تعد حضنا دافئاً للثقافة والعلم والمعرفة، لقد أضحت أثراً بعد عين، وتدهورت أنسجتها الحضرية والمدنية وتعاني اليوم من ويلات الحرب والدمار وكثافة الصراعات المدمرة، ولا زالت حتى اللحظة الإذاعة والتلفزيون والمسرح والمكتبات موصدة ، وتم نهب المتاحف والآثار التاريخية وتدمير روح الأنسان وتحويل أبابيل من المثقفين والمبدعين إلى شحاتين يعيشون على شيء من القلة والشظف وقابعون في عزلة مريرة، وتم خنق المرأة والعلم والثقافة والمثقفين ومحاصرة العقل والإبداع بسياج حديدي متخلف، ومنعت الأيادي القذرة بصورة مستترة وصول الكتب والمعارف والمجلات والصحف إلى القراء، وتساوق مع ذلك انهيار لمؤسسات العلم والثقافة وسقوط مريع لسلطة الدولة وللقيم الإنسانية، قيم المحبة والتسامح والتساكن الاجتماعي.

لقد أضحى الجهل والإرهــاب والتعصب مفردة من مفردات حياتنا اليومية يدمر شــجرة الحريــة والمعرفة ومؤسســات التعليم والتنوير والثقافة (و أخاف أن اســتيقظ يوماً في عالم عربي دون قراء ة. فالقراء يختفون تدريجاً من البلدان العربية) «ليلى بركات».

* الصدى.نت، 20/ 10/ 2018م.

جمال مسكوب في الصوت والللحن والكلمة*

الفنان أبوبكر سالم بلفقيه (1939-2017م)، قامة فنية سامقة يشار إليها بالبنان، طوال مسيرته الفنية غذى وجداننا الفني بأرق الألحان والأغاني بصوته الفخم وثقافته الفنية، فهو ينتمي إلى فصيلة الفنانين المبدعين وموهبته حاضرة في صوته والحانه وفي أطراف أصابعه.

ولا أنسى أن أنوه أنه، مطرب وملحن وشاعر تحصل على شهادات متنوعة وجوائز تقديرية محلية وعربية وعالمية ولعل أشهرها: جائزة اليونسكو في أقوى الأصوات - (الثالث على المستوى العالمي).

ففي طفولته ومراتع صباه تشبع بالفن وغرف من بيئته المحلية (تريم - حضرموت)، روح الفن والشعر، فهو ينتمي إلى أسرة مشهورة بالتبريز في العلم والفقه والشعر والأدب واللغة وتركت البيئة المحلية بصمتها في التكوين الفني والشعري والجمالي للفنان أبوبكر سالم بلفقيه ثم صقلت هذه الموهبة الفنية في مدينة عدن ونضجت وذاع صيتها في السعودية وبلدان الخليج.

لقد أحب الحياة ومباهجها ولم يطيق رفقاء الكآبة والحزن فمن ضلوعه خرجت الولادات الفنية والموسيقية والشعرية الباهرة.

غنى بلفقيه للحب والفرح والجمال والحزن والألم النبيل بخفة وذكاء ورشاقة وعذوبة ووصل إلى ذروة الإبداع الفني بتميزه الذي يصب سحره

الفني في شغاف القلوب، فأغانيه مكتملة البنيان نجد فيها جمال مسكوب في الصوت واللحن والكلمة والموسـيقى وجودة الأداء الفني الرفيع تبث فينا الدفء والجمال والحبور وتفتن القلوب.

نال شهرة عريضة وارتفع إلى ذرى عالية ولم تكن أغانيه ترقيع لأسمال ممزقة، بل حملت الجدة والعمق والابتـكار وانحفرت إبداعاته الفنية كالوشم في مضائق الأذهان.

صوت بلفقيه مرهم للنفوس العليلة والمضض النفسي والروحي يفتح مغاليق القلوب ويمسـح الأحزان والكآبة واعتلال الأمزجة ويلون حياتنا بالسعادة والإشراق وابتسامات الغبطة والسرور.

تنسـاب الدموع الجليلة من أعيننا عندما نتذكر الفنان/ أبوبكر سالم بلفقيه في زمن كثرت فيه الأسماء الفنية التي ينقصها الكثير من الصقل والمران وتقهقرت الإبداعات وطغت العشوائية والأصوات الصاخبة والركاكة والغثاثة.

لقد كان صادق اللوعة ممتلئ الوجدان له حضور فني باهر في الفضاء العمومي بعمق فني وإنسـاني وبلذة حسـية وعاطفية فاخرة وبذكاء إبداعي،قضى سـحابة حياته في محراب الفن وأحب الوطن والإنسان ولم يسفه الهوية الوطنية:

«من يشبهك من ؟

أنت الحضارة

أنت المنارة

أنت الأصل والفصل والروح والفن

من يشبهك من؟»

مر عام على وفاة الفنان الكبير/ أبوبكر سالم بلفقيه وبغيابه يترك فراغا فنيا هائلا في حياتنـــا الفنية والإبداعية، فأبداعاتـــه الفنية حاضرة في إيقاع حياتنا اليومية ساكنة في الوجدان حافلة بالعذوبة واللين ترددها الألسن وتستلذ بسماعها الآذان.

* الصدى. نت، 12/ 1/ 2019م.

تُعلمنا فن الحب
وأبجدية الذكاء العاطفي*

الأم بحر من العاطفة الصادقة وهي المدرســة الأولى التي تعلمنا فن الحب وأبجديات الحنان والذكاء العاطفي والتفاعل الإنساني.

تحية حارة للأمهات في عيد الأم، الأمهات اللائي يقطرن عذوبة ورقة وبهاء وجمالا، الأمهات اللائي أحرقن أناملهن وأجسادهن وأرواحهن من أجل أن نعيش بسلام ووئام وسكينة روحية.

تعلمنا من أمهاتنا: أن الحب هو البصق في وجه الكراهية

وأن الكراهية شنق لمعاني البراءة والصفاء والشفافية.

ولقد قال الشاعر التركي/ ناظم حكمت:

« شيئان لايمكن نسيانهما إلا مع الموت: وجه الأم التي أرضعتنا ووجه مدينتنا التي عشتا فيها».

الأم اسم يدغدغ أحاسيسنا ويحرك أوتار قلوبنا في ضجة النهار وسكينة الليل، فعندما نفتقدها نعيش في عالم مسكون بالكآبة والحزن والشقاء والتمزق النفسي وتظل محفورة في الذاكرة حتى مغرب عيوننا.

ولقد كان محقا الشاعر / نزار قباني حين قال:

(بموت أمي..يسقط آخر قميص صوف أغطي به جسدي

آخر قميص حنان..

آخر مظلة مطر..

أرضعتني من ثديها..وملأت جيوبي عنبا، وتينا

وبرقوقا

كلها هزت لي نخلها..فأكلت..

وفتحت سماواتها لي.. كراسة زرقاء

فكتبت)

الأم فضاء رحب ووطن نحبه ونستعذبه، تنفذ إلى أعماق الروح بترانيم أحاسيسها الفواحة بالمحبة والمودة واللذة الروحية.

كلما جفت مشاعرنا سقتنا من ينبع محبتها المنبجسة من الأعماق بنغمات حارة وبجودة المشـــاعر الإنسانية الراقية، فهي ثرية بعواطفها وحنانها و باتصالها الوجداني واللفظي وبلغة الإشـــارات والكلمات وشمائل الخير والجمال والفضيلة.

تسكن شـــغاف القلب وتغسلنا بشـــلال عواطفها وتصب أنهاراً من الحب والعذوبة والرهافة في جغرافية الوجدان بصفاء روحي ونشوة نفسية.

الأم هي فيض من المشـــاعر الإنســـانية تملأ الأفئدة والصدور وتحمل رنين المعدن الإنســـاني الأصيل وصاحبة صوت متفرد جميلة الجرس عالية اللـــذة ونقية بنبلها وروحها الصافيـــة الزاخرة بصدق العاطفة وبالحنين الرومانسي.

الأم مصدر ســـحر وجاذبية بالنســـبة لنا نجد فيهـــا الأمن العاطفي والوجـــودي، وكلما ابتعدنا عنها يزداد لهيب الشـــوق لرؤيتها ونحن

لقلبها ومكارم أخلاقها ومحاسن شـيمها ونجد فيها أسمى الفضائل وأحسن الشمائل.

نحن إلى بسـمتها وجغرافيـة وجهها وإلى نعومة مشـاعرها ورحابة صدرها وتطويقها الوجداني الجميل.

نحن إلى طعامها وشرابها ومؤانستها ولمساتها وترانيم أحاسيسها:

(أحن إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي..

وتكبر في الطفولة

يوماً على صدر يوم

وأعشق عمري لأني

إذا مت،

أخجل من دمع أمي !

خديني، إذا عدت يوماً

وشاحاً لهدبك

وغطي عظامي بعشب

تعمد من طهر كعبك

وشدي وثاقي..

بخصلة شعر..

بخيط يلوح في ذيل ثوبك..

عساني أصير إلهاً

إلهاً أصير..

إذا ما لمست قرارة قلبك !

ضعيني، إذا ما رجعت

وقوداً بتنور نارك..

وحبل غسيل على سطح دارك

لأني فقدت الوقوف

بدون صلاة نهارك

هرمت، فردي نجوم الطفولة

حتى أشارك

صغار العصافير

درب الرجوع..

لعش انتظارك !)

«الشاعر / محمود درويش».

❊ الصدى.نت، 22/ 3/ 2019م.

قلم قصصي أنيق*

الكتابة ألم، الكتابة صرير ومضض روحي ووجع ممتع، الكتابة مصدر سحر وجاذبية للفطراء من أهل الأقلام المبدعة وللعامة التي تمس أوتاراً حساسة في وجدانهم.

(كثرة من الناس يكتبون، وقلة يدخلون شغاف القلب، أولئك الذين يكتبون بصدق وشغف ... ويتركونك تنفذ إلى أعماق أرواحهم بلا حرج ولا تكلف ولا زيف ولا صنعة، ومن خلالهم فقط يمكننا أن نلتقط عمقنا الإنساني) « صالحة حيوني».

نشعر بسعادة كبيرة عندما تخرج إلى النور ولادات ثقافية وقصصية وإبداعية جديدة في زمن الانكسارات والاحترابات والمحن والتصلب العقلي والوجداني، في زمن التهتك والفساد وترسيخ القبح والكيد والتخاذل:

(طالما أن هناك كتب، أناس يؤلفونها، أناس يقرؤونها، لن يضيع شيء في هذا العالم الذي أحببناه كثيراً رغم أحزانه وفظاعاته) « جان دور ميسون».

ثمة أقلام ماهرة تفوح منها رائحة الإبداع القصصي مثل قلم القاصة العدنية الشابة / رانيا عبد الله.

رانيا عبد الله قلم قصصي أنيق في طريقة للتألق، بقدميها مشت فوق صفيح ساخن وتجاوزت الأشواك والمنغصات بعلو الهمة وبحس فني ومهارة رائعة.

لقــد اتقنت إلى حد مــا التكنيك القصصي واعتمــدت على التكثيف و الاختزال وعمق الفكرة والتعبير الشعري والتعدد الدلالي والمشاهد السردية والاستبطان النفسي، ولامست بأصابعها جروح الواقع.

إنها تلتحم بالواقع وتتشــبع بسوســيولوجيا الحياة اليومية بأفراحها وأتراحها لتنسج لنا قصصا صادقة مدبوغة بروح فنية لذيذة.

لقــد اتقنت اللغة القصصية والترطين بها بصورة جميلة وبألتقاط ذكي للإشارات والتوقعات والتفاعلات الإنســانية بمتع روحية ورمزية عذبة:

(نثر الليل ســكونه في أرجــاء المدينة، وابتلعت الشــوارع والاحياء نبضها، البحر يغط في نوم عميق، والجبال تلحفت بالظلام الدامس) « جنية العقبة، ص-91».

ففي قصصهــا نجد عمق الفكرة ولوعة التعبــير والتأملات الفكرية والتوليدية ونجد لوحات مكتملة الأبعاد ومتعددة الأنغام.

فهي تنتقد الواقع المر وتحتج وتتمرد بتأملات مغموسة بالشاعرية، لا تحب الجلد والفواجع والكوارث المزيفة ولا تتصنع الكتابة القصصية والتهريــج الممل والرؤية العبثية وسفاســف الأفــكار والتصورات المخبولة.

إننا نشــفق على هذا الجيل من المبدعين الذين يســيرون بأقدام حافية بلا ســند ولا عضد ولا دعم من قبل الهيئات و المؤسســات الثقافية ولا يجدون الرعاية والتوجيه مــن قبل المثقفين والمبدعين والمختصين

في فضاء عمومي متخم بالعــراكات والتجاذبات وتوالج الأصوات واختلاط الحابل بالنابل، واختلاط الغليظ بالغليظ وهشاشة الإبداع وسطحية المستوى الجمالي والفني في وضع يندى له الجبين.

ومن المعايب التي يقع فيها بعض المبدعين الشــباب هو أنهم يلهثون خلف الشــهرة والأضــواء الكاذبة ويتسرعون في النــشر، مما يؤدي بالبعض إلى ضلالة عمياء تكرس الركاكة والغثاثة الماحقة للمواهب.

بكل جوارحنا نبارك للقاصة الشابة / رانيا عبد الله صدور مجموعتها القصصية (وقع أقلام) ونتمنى لها الفوز والفلاح.

كتابات الشــابة رانيا عبــد الله قلقة ولذيذة ومنعشــة للعقل والروح وتفتح نافدة للتأمل والإشراقات والفرح الإنساني النبيل:

(اقترب ممن يفتحون في روحك نافدة نور ويقولون لك أنه في وسعك أن تضيء العالم) « شمس الدين التبريزي».

إنهــا تســير إلى الأمام بخطــى ثابتــه ولا تحفل بأقاويــل الصقاعين والضجاجــين والثعالب المتربصة الذين يطلقــون عباراتهم الدخانية دون احتياط، لأنها تعلم علم اليقين أن:(أفضل انتقام أن تنجح بشدة) « فرانك سيناترا».

كم هو رائع ولذيذ قلم المبدعة / رانيا عبد الله الذي يقطر عذوبة ورقة بكثافة الشحنة العاطفية والبلاغية متكئاً على فيض من المشاعر النبيلة يمســح غبار الحزن بخيال فني بديع وبلغة طازجــة يفجر الطاقات الحبيسة في الفؤاد والعواطف الكظيمة في الصدر.

إنها تكتب وتخرج من ضلوعها الولادات الفنية والابداعية :

(سأنصب قلمي ومحبرتي خيمة على شاطئ إدراكي واصنع من الأفكار عقداً لؤلؤياً ترتديه اعناق الو رق.

ســأعزف لحناً وجدانياً تتراقص معه أقلامي منتشية لتخبر الكون أن عقرب السعادة أتم ثانية ونصف منها في قلبي.

سأكتب حين ترسم مخيلتي شعوباً تمارس طقوسها ذات كوكب.

أنا أكتب لأرتب فوضى أفكاري على الورق.

أكتب لأفض الزحام الذي يعتريني مع كل فتيل شعور يتقد.

إن الكتابة ليســت نية، بل ســطوة رغبة بوضع حمل حانت ولادته) « رانيا عبد الله».

إن الكتابة المبدعة تعــري الأقلام الرخيصة أصحاب المواهب الفاترة الذيــن يرضعون من ثــدي إبداعي ضامر وينتمــون إلى جنس عبدة الشــعارات والتقليد والنقل البليد والخطــب المنبرية وحفظة الجمل والنصوص الذين يفلقون الرأس بشطحاتهم:

(إنهم كذابــون.. يعلمون إنهم كذابــون، ويعلمون أننــا نعلم إنهم كذابون، ومع ذلك يكذبون بأعلى الأصوات) « نجيب محفوظ».

نتمنى على المبدعين الشــباب أن يقرؤوا كثيراً ويكتبــوا قليلاً وعدم الانجرار خلف الاضواء الصاخبة والتهليل والتكبير والتطبيل وعدم

تكلف الإبداع والكبرياء والتغطرس وتعظيم الذات والتحلي بفضيلة التسامح والانفتاح والبساطة وسعة الصدر وتقبل النقد البناء.

نتمنـــى عليهم أن يلتحمـــوا بالواقع ويغوصـــوا في تجاويف المجتمع ويصقلوا مواهبهم الشابة بالقراءة والدرس والمثاقفة والكدح الذهني والإبداعي وأن يســتفيدوا من القامات الإبداعيــة المحلية والعربية والعالمية، و أن لا يســمحوا للمتشعوذين أصحاب التفاهات و كهنة تزييف الإبــداع من ذوي النفوس المريضة أن يطمروا مواهبهم بشيء من الزخرفة والســطحية والبلاهة الإبداعية التــي تتنافى مع الإتقان والتجويد:

(لا تسمح لأي شخص أن يحجب الضوء الذي يشرق من داخلك)

« مايا انجيلو».

المجموعة القصصية « وقع أقلام» للشــابة رانيــا عبد الله تحتوي على 28 قصة تستهلها بقصة «ليلة في الحياة» وتنتهي المجموعة القصصية بقصة « غمزة ماساي».

ســلام للقاصة رانيا ولرشــاقة قلمها المعجون بالنطاســة والرهافة والجمال.

* الصدى.نت، 10/ 4/ 2019م.

نص فاخر لكاتبة من طراز أنيق*

الطاهر لبيب اسم جهير في سـماء السوسيولوجيا العربية، له بصمات لامعة في جغرافيا العقل والفضاء العمومي، فطوال مسيرته العلمية لم يبحث عن شـهره هزيلة وشغل مقاما محمودا في صميم أفئدتنا بفكره الخصيب عالي النبرة، فهو دائما يقدم وجهه بلا مسـاحيق ولا أضواء ولا ضخـب ولا مزامير،ولا تنسـى طالبته الليبية فتحية السـعيدي البوح بذكريات وأحـداث كان لها الفيصل في تكوين هويتها البحثية والأكاديمية.

فثمة ذكريات متوهجة مشحونة بالقلق والمتعة والفرح والحزن والوجع اللذيذ تحرك العقول وتكشـف الجراح وخوالج النفوس يتم إذاعتها ببراعة الأسلوب وقوة الخيال وجمال الذوق وإناقته.ففي جبهة الزمن تظل الصورة مرتوقة في مضائق الأذهان لمن أسـدى النصح لنا وقرأ عذاباتنا بذكاء عاطفي وساعدنا على لملمة أطرافنا وترميم انكساراتنا النفسية والروحية، وكان له باع مديد ورأي سديد في فلاحنا وارتفاع نجمتنا.

لقد خطفني نص رائع وشـفيف للمبدعة/ فتحية السعيدي في لحظة كنت فيهـا لا أقوى على القـراءة والدرس بعـد أن طحنني التعب وغلبني النعاس، فما أن بدأت بقراءة النص شعرت بأنتعاش وحيوية، فثمة نصوص تقتل روح القراءة لخلوها من الحرارة والتوهج وصعبة

الهضم ورتيبة جرداء بلا زينة فنية وجمالية وبلا تماسك فكري ولغوي متخمة بالخواء الروحي والأحاسيس الصلدة والجامدة.

ففتحية الســعدي كاتبة من طراز أنيــق تجرعت العلقم وصبرت على مضض البلوى وعاشــت حقبة حالكة من الظلام ومن تجربتها المرة في غميس الواقع انبجس من جوفها نص ثمين يمس شــغاف القلب ويقلبنا بين طقــوس الحزن والفرح والألم والأمــل واللذة الروحية، نص يسكب حرارة عاطفية وجمالية في أخاديد الروح العميقة ويحاكي العقل والروح ويطلق العواطف الكظيمة بلغة أنيقة وقدرة ثاقبة على البصر والإبصار وبهندســة فنية تضرب على وتر مــؤلم من الأوجاع وســفر التيه والحيرة والتحدي ويكشف عن محنة أصابتها في الصميم في حومة الحياة ومشاكلها:

(لم يكن يعرف أحدا منهم في يوم، بأن للقهوة مذاقا ونكهة، نترشفها على مهل، فهي أخت الوقت كما يقول محمــود درويش...ولها وقار وجلال وانتشاء لاتشــعر به إلا ونحن في حضرة أشخاص لهم في النفس احترام ومحبة صادقة وخالية من كل صنوف التملق والرياء والحسابات الدينوية السخيفة).

لقــد كان أ.د.الطاهر لبيب حــاضرا بقوة في النــص بلباقته العقلية والروحية الذي أضأ شــمعة الطريق لطالبته النجيبة فتحية السعيدي وفق مرتســمات واقعية بمنأى عن التلبــك والعتمة وغيبوبة الوعي، حيث قال:

(القهوة المختلفة كما الحياة.. والمرارة ملح يضفي نكهة على كل ما نحبه ومــالم نعتد عليه.. عليك الآن، أن تجدي النكهة المطلوبة لاســتمرار حياتــك دون أن تؤثر عــلى التزاماتك جميعها وأســطر على جميعها.. أعول على ذكائك، الآن يمكنك أن تغادري، واعلمي أني أنتظر قرارا مختلفا منك المرة القادمة).

لقد تغلبت على الصعاب والتحمت بقطار العلم وقبرت المواجع:

(شــعرت يومها بأن قبر الأحياء أكثر عنفا مــن قبر الأموات.. وكان يجب علي أن أحمل وزري وأرحل.. عكس، كثرة من نســاء أخريات تصرفت.. لم أبحــث عن أي شيء، لا جاه ولا ســلطة ولا حماية من أحد...تركت كل شيء ورحلت لأنغمس في كتبي وأوراقي ولأعود لوالدتي ولوالدي ولأســتاذي الطاهر لبيب وقــد قررت أن أواصل مشــوارا من حياة، عارية كما أنا،إلا من صدقــي وتواضعي وعمقي ومن تفاؤلي الدائم...).

تحية من الأعماق للأســتاذ الكبير الطاهر لبيب،وتحية للمبدعة فتحية السعيدي ولقلمها الأنيس والممشوق ولنصها الجميل الشامخ بعمقه الأدبي والإنساني.

* الصدى.نت، 27/ 4/ 2019م.

فريد بركات...الشاعر والمثقف*

لقد فقدت الحياة نكهتها واستبد بنا الجهل والظلام والبؤس المادي والفكري، بعد أن طغت النفوس الملطخة بالدماء والسواد وجهنمية الأفكار الصلدة لوجوه جامدة وعابسة.

المثقف في بلداننا محاصر بالجهل والعتمة وثمة أياد قذرة تكتم أنفاسه وترمي بثقلها لإخراجه من المشهد الثقافي والعمومي وتكسر كل الصواميل التي يستند عليها لجعله وحيدا وغريبا بلا سند ولا عضد:

(ما أصعب أن يكون المرء مبصرا في مجتمع أعمى) «جوزية ساراماجو».

لقد أصبح واضحا لكل عين ذي بصيرة أن سياسة وضع السيف في الحلقوم وجرف الثروات خربت البيئة الوطنية وافترست المستضعفين وهمشت المثقفين ودمرت العمران المادي والفكري بشعارات مكياجية وبكراهية عمياء تستخدم فيها أخس ضروب الحيلة لتفتيت اللحمة الاجتماعية ولقص ألسنة الفهماء وبتر أجنحة المثقف وجعله منفيا خارج أسوار المجتمع والعلاقات الإنسانية الدافئة يتجرع المآسي القاتلة ويفقد الثقة بالآخرين أو كما قال جان يوجل:

(إذا شعرت بالحاجة إلى يد دافئة فأمسك بيدك الأخرى فلا خير في أحد في هذا الزمن).

لقــد غادرنا إلى هدأته الأخيرة الأســتاذ/ فريد بركات يوم الســبت 18 مايــو 2019م، في وقت عصيب جدا ولازمني احســاس مزمن بالحزن: (ولم يعد في قلبي مكان لرصاصة جديدة) «محمود درويش».

فريد بركات (1946 – 2019م) – شــاعر ومثقف رقيق الحاشــية بهي الطلعة لطيف الشــمائل، عاش حياة مضطربة مغموســة بالمحن والآهات والزفرات الحزينة.

لقد مات منذ عقود قبل مماتــه الحقيقي عندما رأى بأم عينيه الظلمات المطلسمة والجمود وسخافة العقل وتدمير أوصال المجتمع.

انكسر وشاخ وهدته الأمراض وتيارات الزمن وكوارث الأيام، عندما تغــيرت ملامح خارطة الحياة وأوغل الأقوياء في الظلم وخرجوا عن محيط الانتظام العام

وبلــغ الطيش والعســف والاجحاف مرتبة عليــا بمنهج يتقوم على الإذلال وفلسفة القمع وكتم الأنفاس.

بين حين إلى حين كنت التقيه في شارعنا وكان يرمقني بنظرة ويضحك ضحكة ســاخرة بنبرة حزن متشــظية، يضحك من زمن أغبر دهس بأقدامــه قواعد الانضبــاط والوئام ورونق الجــمال والتمدن وآدمية الإنسان.

لا مندوحة لي من القول، أني كنت أشــغف كل الشــغف بشعره الغنائي المغنــى بصوت الفنــان / أحمد قاســم، ومعجباً بأطروحاتــه الفكرية

والتنويريـــة عندما كان يافعاً في أوج قوتـــه الفكرية والبدنية وله حضور وازن في المشـــهد الثقافي العمومي، وكان صاحب صيت ومكانة مرموقة قبل أن تدور الأيام دورتها المرعبة وقبل أن ينهشه المرض وتهده الشيخوخة والمحن في شبكة الحياة اليومية وفي محيط صاخب بالحرب والشقاء والفقر والخراب المادي والمعنوي.

لقد شغل في عقدي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين مناصباً ثقافية رفيعة أهمها: وكيلا لوزارة الثقافة، مديرا عاما لتلفزيون عدن، رئيسا لتحرير مجلة الثقافة الجديدة ومجلة قضايا العصر.

بعد أن علا به السن عاش حياة مؤلمة منزوعة من الأفراح مترعة بالمكابدات النفســية والروحية التي تعكس الأوضاع الزميته التي يعيشـــها أفراد الشعب الخالية من السكينة والرضوان، فالناس مكبوحون بقوة القهر والسلطان والفساد.

لقد لقي الأســتاذ فريد بركات من الجهلاء شراً كبيراً من ذوي النوايا غير الحســنة أصحاب الألســن الطويلة الذين يسعون إلى تشويه كل وجه شريف (الصدمة المؤلمة، أن يجرحك من مسحت له دمعة حزن) « جوتفيرد لابتيس».

لم يترك هذا الزمن الرديء مســاحة للفن والفكر والعلم والشــعر والموسيقى و الخيال البديع، لم يترك مساحة للابتكار ولعمارة الأرض ونهضة العقل ونماء الإنســان، لقد التهم كل المساحات الخضراء في

النفوس وأصاب العامة بشـــلل اجتماعي وروحي وحقن المجتمع بنزعه عصبوية تدميرية تحمل بصمة متصحرة تفتك بجمال الجســـد والروح والمشاعر وثقافة العيش المشترك.

لقد تحولت حياتنا إلى حروب وحرائق ومآتم وأحزان تعلو في سطحها مشـــاهد الفوضى والفســـاد والكيد والضغائـــن، وأضحت مسرحاً للاحترابات والغنائم ومصدراً للارتزاق.

وداعاً صديقي المبجل / فريد بركات تغمدك الله بواسع رحمته وانا لله وانا اليه راجعون.

* الصدى.نت، 25/ 5/ 2019م.

سوسيولوجيا الغزل العربي*

نشعر أحيانا بشيء من الامتعاض عندما نرى بعض الأقلام والوجوه العكرة جافة وغير مرنة تجلب الملل والسأم للقارئ وتثير الغريب المهجور، والبعض يسلك مسلكا وعرا في الدراسات السوسيولوجية فيأتي بالصعب وغير المألوف ليثبت أن له قدم راسخ وضرس قاطع في العلم ويمتلك مهارة بحثية وعمق سوسيولوجي وبعد نظر بضروب من التكلف والاعوجاج هدفها شهرة زائفة ومطمع في المجد والخلود.

فالعلماء الأفذاذ وأهل الذكاء والكيس لا يتهالكون على الشهرة والأضواء الخادعة ومن جملتهم الطاهر لبيب الذي خلدت ذكراه مدينة المزونة «بتونس» حيث أطلقت اسمه على مكتبة كبرى في المدينة تقديرا لسعة علمه ودوره في نهضة العقل وتنشئة الأجيال.

وغني عن البيان القول، أن معرفة التراث الشعري بعين سوسيولوجية فاحصة، أمر في غاية الأهمية، يحتاج ثقافة شعرية وإنسانية، وبدون هذه الثقافة تصبح التحليلات والتفسيرات السوسيولوجية مضطربة تتقاذفها الرياح وغير متينة في مضمونها وهندسة تركيبها.

فالثقافة الشعرية تنمي لدى الناقد السوسيولوجي الذخيرة اللغوية والتذوقية والنطاسة والعمق وتساعد على سمو الذوق والغوص في أخاديد النفس البشرية وتعطي قدرة ثاقبة على البصر والابصار.

فإذا كان علم الاجتماع هو ذلك العلم المنظم والمنسق والممنهج الذي يدرس المجتمعات الإنسانية بظواهرها وسلوكياتها وجماعاتها

الاجتماعية والتغير والثبات في المجتمعات، ويتوخى هذا العلم إبراز المسببات الظاهرة والمستترة للظواهر الاجتماعية وطبيعة المعضلات والمشكلات الاجتماعية ويكشف عن القوانين الاجتماعية لبزوغ وتلاشي الظواهر الاجتماعية والنظم والجماعات الاجتماعية وطبيعة التبدلات في المجتمع ودور البيئة والثقافة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية في تنمية الشخصية وضبط وتنمية أفراد المجتمع وعوامل استمرار العادات والتقاليد المجتمعية [1].

وعلى نفس الأفق، فعلم الاجتماع الأدبي يدرس العلاقة ما بين الأدب والمجتمع:

ويركز على ثلاثة محاور: الأديب، والعمل الأدبي، والجمهور، كما يفسر التفاعل بين الأديب والمجتمع [2].

لقد أغراني أ.د.الطاهر لبيب في قراءة كتابه الموسوم ب: سوسيولوجيا الغزل العربي الشعر العذري نموذجا، وأكاد أدعي أن هذا العنوان جديد في معناه ومبناه، حيث سلك الطاهر لبيب مسلكا تجديديا يتخطى الدراسات السوسيولوجية النمطية التي أعطت صورة مهشمة لعلم الاجتماع وضيقت أفقه العلمي والمعرفي وجعلته مجالا صلدا مندغما بالميكانيكية وخمول الروح وذبول المعرفة.

الكتاب يركز عدسة الضوئ على الشعر العذري ويقدم قراءة جديدة للشعر العذري:

وفهم دلالة شعر هذه المجموعة في كليته المتماسكة [3].

استخدم الطاهر لبيب منهجا:

يقوم على مبدأ بسيط: ألا يسأل الشاعر وإنما يسأل شعره، بهذا يكون موضوعه التحليل الداخلي للعمل الشعري، أي توضيح شبكة الدلالات الداخلية التي يجب الوصول إليها، من دون تعسف على النص [4].

ولا ضير أن نومئ إلى ما قاله الناقد والشاعر / فاروق شوشة إلى أن الشعراء العذريين:

أصبحت نظرتهم إلى المرأة المحبوبة نظرة كائن إنساني، يموج بالمشاعر والعواطف والأحاسيس وكيف ترك لنا هؤلاء العذريون في قصائدهم خلاصة لوعتهم وحرمانهم وتعففهم وعشقهم السامي المجرد، هذا العشق الذي رفدته تقاليد البادية العربية ثم غذته قيم الإسلام ومثله العليا، فالتقت فيه قيم الفروسية والنبل والنخوة بقيم التعفف والتسامي والتطهر، والذي أصبحت آثاره الشعرية – فيما بعد – ذخيرة فنية واجتماعية وحضارية نادرة المثال، موفورة العطاء [5].

وعلى سياق متصل يقول الشاعر / قيس بن الملوح:

أعد الليالي ليلة بعد ليلة	وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت لعلني	أحدث عنك النفس بالليل حاليا
أراني إذا صليت يممت نحوها	بوجهي، وإن كان المصلى ورائيا
وما بي إشراك ولكن حبها	وعُظم الجوى، أعيا الطبيب المداويا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها	أو اشبهه، أو كان منه مدانيا

إذاً: هل يوجد حب عذري ؟

سؤال يقرع بشـــدة أبوابنا ويفتح المجال للقراءة والدرس وقد تختلف الإجابة عليه من قبل المثقفين والشـعراء والمختصـين وأهل الذكاء والكيس والزُمـــر الاجتماعية، وفي غميس المجادلات الشـائقة بهذا الشأن يتصدى الطاهر لبيب للإجابة عليه إذ يقول:

الحب بين رجـــل وامرأة في نواته الأولى، ميل عاطفي يقوم على غريزة جنســية، ولكنه يتخذ أشـــكالاً متنوعة من التعبير والســلوك ومنها التعويض والتصعيد. ولا يخرج الحـــب العذري عن هذا، إذ لا تنفي مثاليته الرغبة الجنسية [6].

ومالا يغيب عن اللب أن البروفيســور/ الطاهر لبيب لا يتميز بغزارة الإنتاج وإنما بعمق ونطاســة الإنتاج السوســيولوجي بلمسة نوعية تتجاوز التشرنق والتكلس والعقل المحنــط والطنين المؤذي المصدع للرؤوس.

كتاب (سوسيولوجيا الغزل العربي الشعر العذري نموذجا)، يندرج ضمن المؤلفات السوســيولوجية النوعية التي لم تفقد بريقها وليست مصابة بالرثاثة والركاكة العلمية والتعابير الفكرية والسوســيولوجية المستهلكة.

ولا أريد أن أشير أني، قرأت الكتاب من الجلد إلى الجلد، فالكتاب يغري المختصــين في حقل علم الاجتماع ومن في معناهم على القراءة والدرس ويفتح السبيل لسجالات ودراسات سوسيولوجية أشمل وأدق.

لقد قال أندريه ميكال « الكوليج دو فرنس»:

لا حاجـة لكلام كثير لنقول عن كتاب كـم هو متميز، إن كل الذين يتسـاءلون: كيف ولماذا نشـأ «الحب المجنون» بغرائبـه، في الجزيرة العربية، قبل أن يولد في أوروبا؟ يجدون في كتاب الطاهر لبيب مفاتيح ضرورية للإجابة عن تسـاؤلهم. أنا، شـخصيا، أخـذت عنه كثيرا، عندمـا بدأت في حب ليلى، مع مجنونها. وإني لعلى يقين من أن من يقرأ هذا الكتاب لا يعود، بعد قراءتـه، إلى ما ورثناه من أفكار عن الحب وعن الغزل عند العرب. إنه يحدث، فعلا، قطيعة مع الفكر السائد في موضوعه [7].

الهوامش:

1- سمير عبد الرحمن الشميري، محاضرات في علم الاجتماع السياسي، عدن: دار جامعة عد للطباعة والنشر، 2005م، ص 13.

2- محمد سعيد فرح، مصطفى خلف عبد الجواد، علم اجتماع الأدب، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2009م، ص25.

3- الطاهـر لبيب، سوسـيولوجيا الغزل العربي الشـعر العُـذري نموذجا، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، يوليو 2009م، ص18.

4- المرجع السابق، ص 19.

5- فاروق شوشـة، أحـلى عشرين قصيدة حـب، القاهرة: مكتبة مدبـولي، بيروت: دار العودة، أيلول 1973م، ص 9-10.

6- الطاهر لبيب، مرجع سابق، ص 234-235.

7- المرجع السابق، ص 7.

❋ facebook.com/samir.alshamiri.7 7\4\2020.

تونس تؤنسنا برنينها الأنيق*

سرني أن أكون أحد ضيوف برنامج جسور ثقافية في حلقة « تونس في عيون العرب».

يستريح قلبي بمودة الرصفاء الطيبين المسكونة بالرقة والطيبة وبنغمة جرس لذيذة.

احمــل في جعبتي نتفا من الذكريات اللذيــذة عن مدينة تونس مفعمة بالإيحاء والكبرياء والحبور والعز والأفضال ولها وقع أليف في صميم فؤادي مضمخة بنكهة فاخرة.

إنا مفتون بمدينة تونس التي تؤنســنا برنينها الأنيق وبرائحتها ودفئها ورقة قاطنيها، فهي تهمس نغما وتلامس بأناملها أصابع الجمال.

وعن المدينة يقول الروائي الجزائري واسيني الأعرج:

(المدينة هي إذن رونق الحرية والحرية بالنسبة لي شيء مقدس آلى أبعد الحدود، عندما تسرق مني حريتي أختنق وأموت في اللحظة نفسها).

أما الروائي وعالم الاجتماع المغربي الطاهر بن جلون فيقول:

(علاقتي بالمدن علاقة مهمة لأنني مدني قبل كل شيء ولســت إنسانا قرويــا.. أما طنجة فهي مدينــة الانفتاح والمــرور والعبور،الدخول والخروج كونها ميناء أيضا).

وعلى صعيد متصل أحب الشــاعر العدني لطفــي جعفر أمان مدينة عدن، ولم يشــعر بالغربة والضياع بين أحضان هذه المدينة الأنيسة ولم

يسر على نفس نهج الشـاعر أحمد عبدالمعطـي حجازى الذي وصف القاهرة بالكفر والخشونة والقسـاوة في ديوانه الشعري الأول(مدينة بلا قلب 1959م):

أيا قاهرة !

أيا قببا مثخنات قاعدة

يامئذنات ملحدات

ياكافرة !

أنا هنا لاشيء، كالموتى، كرؤوية عابرة

أجر ساقي المجهده

للسيدة

تونـس مدينة أنيقة وشـهية يتعذر الإحاطة بسـحرها وأسـاطيرها والولـوج إلى أعماقها، فهناك لوحات بديعة تغـذي الروح وتدهش اللب ومن جوفها يصعد هتاف روحي يجبرنا على الابتسام.

لقد سطر بيراعه الروائي التونسي حسين الواد إبداعات لامعة يشكر عليها في روايته « رائحة المدينة »، حيث نجد فيها مسحة أنثر وبيولوجية لمدينة تونس في الأزمنة الفارطة والحقب الزمنية المعاصرة، لقد جمع ما بين الإبداع الروائي والحس الأنثروبولوجي.

هناك ذكريات جميلة وشـهيرة احتفظ بها في طاسـة رأسي عن مدينة تونس:

(كل شيء حولي ينذر سعادة نادرة

كتلك التي تشعر أنها لاتأتيك

إلا مرة واحدة في العمر) « محمود درويش».

ففي تجوالي الشغوف في أحياء المدينة العتيقة:

تربة الباي، القصبة، جامع الزيتونة، سـيدي بـن عروس، زرقون، الصباغين، الكومسيون.......

كنت أشـعر بحميمية ودفء وضياء روحي ونشـوة نفسية ، كنت أغـوص في تجاويفها وحسـن رونقها وبنيتها الماديـة، كانت تجذبني الزخرفات والفنون والنقوش، كنت أغوص في الجغرافيا الإنسـانية، أحببت الناس الذين يشبهوننا وسـياقات التفاعل البشري و الكثافة الروحية وسوسـيولوجيا ومورفولوجيا وأنثروبولوجيا مدينة تونس والعمق الأدبي والإنساني والعاطفي.

لا أتردد في القول، كما قال الشاعر التونسي/ الصغير أولاد أحمد:

نحب البلاد

كما لا يحب

البلاد أحد

نحج إليها

مع المفردين

عند الصباح

وبعد المساء

ولو قتلونا

كما شردونا

ولو أبعدونا

لبرك الغماد

لعدنا غزاة

لهذا البلد

كنت أجد إيناسي عند مصافحة عيني للشوارع الحديثة:

باريس، بورقيبة، المغرب العربي، محمد بوعزيزي، جمال عبد الناصر، قرطاج. وشغفت كل الشغف بمتحف باردو.

أحببت الخلق في محافلهم ومجامعهم، أحببت الوجوه المألوفة التي تبث اللطف والأنس في خافقي وعمق خاطري.

أحببت أهل الذكاء والكيس وزملاء المهنة والتخصص: منير السعيداني، بشير التليلي، لحمر مولدي ، منصف القابسي ، عبدالستار السحباني.

تشهيت اللغة المهموسة الخرساء الخارجة من أعماق الإنسان بنغمات حارة كثيفة الإبهار تسكن شغاف القلب وترصن جودة العلاقات الإنسانية الملفوفة بشمائل الخير والتسامح والصلاح ومكارم الأخلاق ومحامد الأفعال.

تونس تنزع عنك الحزن والغربة والألم النفسي والجسدي واضطراب التفكير والمشـاعر والاكتئاب الجسيم ، تجعلك مرحا تفيض روحانية متوهج العقل سـليم الصدر تـسري في عروقك المحبة والمسـامحة والراحة الروحية واللذة الحسـية والعقلية ، على عكس المدن الصلدة التي تسرق فرحـك وتمتص وهج روحك وتجعلـك صديقا للكآبة والضجر والهلع والخوف وتمنعك من قراءة الجغرافيا وسياقات الفعل البشري والفضاء الحضري والعلاقات والبنى والمعتقدات ، وتشـل أحاسيسك، فهذه المدن الصلدة مريضة وحزينة حتى الموت.

وأنا أطوف في شـوارع وأزقة وجادات مدينة تونس، كانت تلح على ذهني عبارات وكلمات الكاتـب والمثقف المصري عبدالوهاب عزام (1895 – 1958م)، الذي قال:

(ذهبت مرات إلى فلسـطين والشام والعراق فكان يخيل لي أينما سرت أني لا أخطو إلا على صفحات من التاريخ المجيد، لا أرفع بصري إلا على عنوان من عناوينه في صورة مسـجد أو مدرسة أو قبة حنت على عظيم أسلافنا...

وطفت في العراق مدنه وقراه وحـضره وباديته فكانت بغداد عندي القاهرة ، بل أجل ذكرا، وكانت الكوفة والبصرة والموصل أعظم أثرا على نفسي من طنطا والمنصورة).

وعلى نفس الأفق تذكرت عالم الاجتماع التونسي د. سالم لبيض ، الماهر في حياكة النص السوسيولوجي ، حيث يقول:

(إن مســألة الهوية في نهاية المطاف ، ليست مجرد انتماء مجتمع فحسب ، إنما هي تحصنه لكي لا يبتلعه الآخر ويطمس جميع خصائصه ومكوناته ، خاصــة في ظل عولمة شرســة أتت على اقتصاديات الشــعوب بعد أن وضعتها في المزاد العلني، لتســقط لقمة سائغة في أفواه الشركات العابرة للحدود القومية ، وهــي تتبع خطى الثقافي لتخترق الحصون القوية للهوية وتفتتها من الداخل).

ونســيت أن أقول، عندما كنت أغوص في جزئيات وتفاصيل مدينة تونس النابضة بالحيوية والتي تمتاز بوفرة المثقفين والسوســيولوجيين ، طفت بخيالي بين وجوه المبدعين التونســيين ، لطفي بوشناق، خيرة مباركي ، والأكاديمي المرموق عبدالســلام المسدي ، هشام جعيط، المنصف الســويسي، عائشــة التايب ، محســن بوعزيزي ، عبدالباقي الهرماسي ، الطاهر لبيب الذي أدهشــنا بكتابه « سوسيولوجيا الغزل العربي الشعر العذري نموذجا».

لقد أبحت لنفسي التفــرس في الوجوه والفضاء العمومي ، وأطلقت العنان لذكائي العاطفي والاجتماعي لقراءة المشــاعر والأحاســيس للســارحين والبارحين في شــوارع حافلة بالبشر والديناميكية وبلغة سوسيولوجية مرنة مردوفة بملحوظات أنثروبولوجية.

(كيف نشفى من حب تونس

الذي يجري فينا مجرى النفس

لقد رأينا في تونس من الألفة

والحنان والسند والسمح

مالم نرى في أي مكان آخر) «محمود درويش».

ولقد قال الشاعر/ نزار قباني:

يا تونس الخضراء جئتك عاشقا

وعلى جبيني وردة وكتاب

هل في العيون التونسية شاطئ

ترتاح فوق رماله الأعصاب

أنا يا صديقة متعب بعروبتي

فهل العروبة لعنة وعقاب

أمشي على ورق الخريطة خائفا

فعلى الخريطة كلنا أغراب

لاتغضبي مني إذا غلب الهوى

إن الهوى في طبعه غلاب

فذنوب شعري كلها مغفورة

والله جل جلاله التواب

ويطيب لي أن أعلن، أني لا أشـــعر بغربة في تونس ولا في أي بلد عربي، ورحم الله الشاعر/ فخري البارودي الذي قال:

بلاد العرب أوطاني

من الشام لبغداد

ومن نجد إلى يمن

إلى مصر فتطوان

فلاحد يباعدنا

ولا دين يفرقنا

لسان الضاد يجمعنا

بغسان وقحطان

قد لا أكون في حاجــة للقول ، أن المفكر التونسي/ الحبيب الجنحاني ، قد وضع الحافر على الحافر حين قال:

(الوطن ليس مجرد فضاء جغرافي، بل هو في الأساس حرية وحقوق).

وليس من الشــطط القول كما قال أحد الثائرين المشهورين الذي ملأ جعبته بالحقائق:

(كنت أتصور الحزن يمكن أن يكون صديقا ، لكنني لم أكن أتصور أن الحزن يمكن أن يكون وطنا نسكنه ونتكلم لغته ونحمل جنسيته).

* برنامج صور ثقافية (الأردن)،3/ 5/ 2021م.

حرية مطلقة وزيف فني خادع*

الكتابة خارج الأصول والقواعد الفنية هي حرية مطلقة بدون سقف، فالكاتب له الحق في ممارسة الحرية ضمن حدود معقولة، فالحرية بدون وعي أدبي وثقافي وإبداعي ضرب من الفوضى المؤذية.

فثمة رهط من أصحاب المواهب الفاترة والأحاسيس المتبلدة يعمون أبصارنا بالزيف الفني الخادع والهذيان المزمن وضعف الجودة الروائية والقصصية والتحليق في فضاء معتم خال من نكهة الخيال الفني والحبكة القصصية والروائية اللذيذة ومن متانة السبك الأدبي وسلامة الذوق ومن الشحنة العاطفية والبلاغية. فالحرية الشوهاء لا تستطيع خلق قوالب أدبية وفنية جديدة ولا تحسن الأداء الفني وقد تكون عند البعض ستار لتغطية العجز الفني والأدبي بخيال ضيق وتأملات طائشة لنفوس متشظية غير قادرة على الإبداع الرصين الذي يغذي العقل ويسمو بالروح إلى أعلى درجات المتعة والسعادة والوعي.

فغياب أو ضعف النقد و(تحول الناقد إلى مروج تجاري للكتب، ولاسيما الرديئة منها، خسر النقد دوره، وفشا الكتبة الطفيليون ذوو المواهب الهزيلة، حتى أنهم كادوا يتبوأون الصدارة) «نتالي ريش».

وفي هذه المعمعة الكبرى وسط ضوضاء الأصوات والأقلام واختلاط المفاهيم واتساع مجالات الاضطراب وتكريس الرداءة الفنية والسردية عند البعض في فضاء عمومي مترجرج، يأتي دور الناقد المتبصر الذي

يصوب الأخطاء ويكشف الخروم والثغرات والثقوب في النصوص الأدبية من جهة، ومن جهة أخرى ينير مضائق الأذهان باللمسات الفنية والعاطفية والحسية وكثافة الإبهار الفني في النص الأدبي.

(أكبر الظن أن حرية النقد ليست بدعا من ضروب الحرية المختلفة، فهي نتيجة من نتائج التربية الصحيحة وأثر من آثار الأخلاق القيمة) «طه حسين».

(النقد أساسا إبن الديمقراطية ويعني « الحوار»، لذا أنا كناقد لا أوجد إلا بوجود الآخر) «ياسين النصير».

فمهمة الناقد و (الفنان والأديب أن يمنع الناس من الوقوع في الهاوية) «بيكاسو».

ولعله من المستحسن في هذا المسلك الإشارة إلى الناقد/ عبدالله إبراهيم الذي قدم مطالعة شائقة وسلسلة لرواية « الساعة الخامسة والعشرين» للكاتب الروماني كونستانتان جيورجيو، لقد بين جوهر الوجع الإنساني في الرواية المتصلة بغميس الواقع بكثافة وإبهار وبيراع فني بديع في الحس الرفيع والذوق الأنيق وبجودة أدبية تفيض عذوبة ورقة ومندغمة بترحال فكري ووجداني لذيذ مشحون بطاقة إبداعية خلابة.

الناقد عبدالله إبراهيم يدفع القارئ لقراءة الرواية بأسلوبه الشائق ولقد صب سحره الأسلوبي في شغاف القلب وأثار الدهشة بترحاله

الفكـــري والوجداني وجعلنـــا نحس بقيمة الروايـــة الفكرية والفنية والجماليـــة والدلالية وبآدمية الإنســـان المهدورة مـــن طرف الأنظمة الشمولية و ما في معناها.

❋ facebook.com/samir.alshamiri.7 24/ 8 / 2021

عبير خالد والشاعر عبدالله البردوني*

شغفت كل الشغف بمداخلة الدكتورة/ عبير خالد يحي المرتكزة على ثقافة شعرية ثرية تمزق حجاب السطحية والثرثرة الجوفاء.

مـــن يقرأ مداخلة د.عبير ســيجد غذاء ثقافيا وروحيـــا يبث اللطف والأنس في نفوسنا ويملئ الفم ويقرع الأذن .

لم تجامل في رأيها الشـــاعر/ عبدالله البردوني ولم تخرج عن قســطاس الحكمـــة والتبــصر، لقد وضعت الحافــر على الحافــر بطريقة هادئة وسلسلة خالية من التنطع والشطط والزيغ.

نظرت بعين الحاذق إلى شـــعر عبدالله البردوني بعمـــق الذوق وذكاء الحس وبنظرة في غايـــة العمق والتجلي، ثم وضعت يدها بأنبســـاط على التفردات التي يتميز بها شـــعر البردوني الذي تميز بعمق العاطفة وحرارة التعبير ورهافة الحس وصدق الأحاسـيس واســتطاع بلغته الشـــعرية وبصوره الفنية أن يخترق قوالب التعبير الضيقة والقوالب الجاهزة المعلبة وحمل شعلة الحرية والعدالة والإنصاف لنهضة العقل وتنمية الوعي وتنوير الغافلين بأوضـــاع كئيبة كلها خبص في خبص مظلمة كثيرة الأقنعة واللبوس ومشبعة بالجور والجهل والهلع والفزع.

كل الود لنطاســـة أبجديتك دكتورة/ عبير خالد يحي المسكونة بالرقة والإبداع والمتفننة دوما في أســـاليب التشويق والعارفة بأصول السرد وأدب الكتابة.

وعلى سـياق متصل هجسـت في خاطري قصيدة عبـدالله البردوني الموسـومة ب « أبو تمام وعروبة اليوم» ومـا أحلاها حين تقرأ من طرف لسان الشاعر عبدالله البردوني:

مَا أَصْدَقَ السَّيْفَ! إِنْ لَمْ يُنْضِهِ الكَذِبُ
وَأَكْذَبَ السَّيْفَ إِنْ لَمْ يَصْدُقِ الغَضَبُ
بِيضُ الصَّفَائِحِ أَهْدَى حِينَ تَحْمِلُهَا
أَيْدٍ إِذَا غَلَبَتْ يَعْلُو بِهَا الغَلَبُ
وَأَقْبَحَ النَّصْرِ..نَصْرُ الأَقْوِيَاءِ بِلاَ
فَهْمٍ. سِوَى فَهْمِ كَمْ بَاعُوا وَكَمْ كَسَبُوا
أَدْهَى مِنَ الجَهْلِ عِلْمٌ يَطْمَئِنُّ إِلَى
أَنْصَافِ نَاسٍ طَغَوا بِالعِلْمِ وَاغْتَصَبُوا
قَالُوا: هُمُ البَشَرُ الأَرْقَى وَمَا أَكَلُوا
شَيْئَاً.. كَمَا أَكَلُوا الإِنْسَانَ أَوْ شَرِبُوا

***

مَاذَا جَرَى.. يَا أَبَا تَمَّامَ تَسْأَلُنِي؟
عَفْوَاً سَأَرْوِي.. وَلاَ تَسْأَلْ.. وَمَا السَّبَبُ
يَدْمَى السُّؤَالُ حَيَاءً حِينَ نَسْأَلُه
كَيْفَ احْتَفَتْ بِالعِدَى «حَيْفَا» أَوِ «النَّقَبُ»

مَنْ ذَا يُلَبِّي ؟ أَمَا إِصْرَارُ مُعْتَصِمٍ ؟
كَلاَّ وَأَخْزَى مِنَ « الأَفْشِينَ » مَا صُلِبُوا
اليَوْمَ عَادَتْ عُلُوجُ «الرُّومِ» فَاتِحَةً
وَمَوْطِنُ العَرَبِ المَسْلُوبُ وَالسَّلَبُ
مَاذَا فَعَلْنَا؟ غَضِبْنَا كَالرِّجَالِ وَلَمْ
نَصْدُقْ.. وَقَدْ صَدَقَ التَّنْجِيمُ وَالكُتُبُ
فَأَطْفَأَتْ شُهُبُ «المِيرَاجِ» أَنْجُمَنَا
وَشَمْسَنَا... وَتَحَدَّت نَارَهَا الحَطَبُ
وَقَاتَلَتْ دُونَنَا الأَبْوَاقُ صَامِدَةً
أَمَّا الرِّجَالُ فَمَاتُوا... ثَمَّ أَوْ هَرَبُوا
حُكَّامُنَا إِنْ تَصَدّوا لِلْحِمَى اقْتَحَمُوا
وَإِنْ تَصَدَّى لَهُ المُسْتَعْمِرُ انْسَحَبُوا
هُمْ يَفْرُشُونَ لِجَيْشِ الغَزْوِ أَعْيُنَهُمْ
وَيَدَّعُونَ وُثُوباً قَبْلَ أَنْ يَثِبُوا
الحَاكِمُونَ وَ«وَاشُنْطُنْ» حُكُومَتُهُمْ
وَاللامِعُونَ.. وَمَا شَعُّوا وَلا غَرُبُوا
القَاتِلُونَ نُبُوغَ الشَّعْبِ تَرْضِيَةً
لِلْمُعْتَدِينَ وَمَا أَجْدَتْهُمُ القُرَبُ

لَهُمْ شُمُوخُ «المُثَنَّى» ظَاهِرَاً وَلَهُمْ
هَوَىً إِلَى «بَابَك الخَرْمِيّ» يُنْتَسَبُ
مَاذَا تَرَى يَا «أَبَا تَمَّامَ» هَلْ كَذَبَتْ
أَحْسَابُنَا؟ أَوْ تَنَاسَى عِرْقَهُ الذَّهَبُ؟
عُرُوبَةُ اليَوْمِ أُخْرَى لا يَنِمُّ عَلَى
وُجُودِهَا اسْمٌ وَلا لَوْنٌ وَلا لَقَبُ
تِسْعُونَ أَلْفَاً «لِعَمُّورِيَّةَ» اتَّقَدُوا
وَلِلْمُنَجِّمِ قَالُوا: إِنَّنَا الشُّهُبُ
قِيلَ: انْتِظَارَ قِطَافِ الكَرْمِ مَا انْتَظَرُوا
نُضْجَ العَنَاقِيدِ لَكِنْ قَبْلَهَا الْتَهَبُوا
وَاليَوْمَ تِسْعُونَ مِلْيوناً وَمَا بَلَغُوا
نُضْجَاً وَقَدْ عُصِرَ الزَّيْتُونُ وَالعِنَبُ
تَنْسَى الرُّؤُوسُ العَوَالِي نَارَ نَخْوَتِهَا
إِذَا امْتَطَاهَا إِلَى أَسْيَادِهِ الذَّنَبُ
«حَبِيبُ» وَافَيْتُ مِنْ صَنْعَاءَ يَحْمِلُنِي
نَسْرٌ وَخَلْفَ ضُلُوعِي يَلْهَثُ العَرَبُ
مَاذَا أُحَدِّثُ عَنْ صَنْعَاءَ يَا أَبَتِي ؟
مَلِيحَةٌ عَاشِقَاهَا: السِّلُّ وَالجَرَبُ

مَاتَتْ بِصُنْدُوقِ «وَضَّاحٍ» بِلاَ ثَمَنٍ
وَلَمْ يَمُتْ فِي حَشَاهَا العِشْقُ وَالطَّرَبُ
كَانَتْ تُرَاقِبُ صُبْحَ البَعْثِ فَانْبَعَثَتْ
فِي الحُلْمِ ثُمَّ ارْتَمَتْ تَغْفُو وَتَرْتَقِبُ
لَكِنَّهَا رُغْمَ بُخْلِ الغَيْثِ مَا بَرِحَتْ
حُبْلَى وَفِي بَطْنِهَا «قَحْطَانُ» أَوْ «كَرَبُ»
وَفِي أَسَى مُقْلَتَيْهَا يَغْتَلِي «يَمَنٌ»
ثَانٍ كَحُلْمِ الصِّبَا... يَنْأَى وَيَقْتَرِبُ
«حَبِيبُ» تَسْأَلُ عَنْ حَالِي وَكَيْفَ أَنَا؟
شُبَّابَةٌ فِي شِفَاهِ الرِّيحِ تَنْتَحِبُ
كَانَتْ بِلاَدُكَ «رِحْلاً»، ظَهْرَ «نَاجِيَةٍ»
أَمَّا بِلاَدِي فَلاَ ظَهْرٌ وَلاَ غَبَبُ
أَرْعَيْتَ كُلَّ جَدِيبٍ لَحْمَ رَاحِلَةٍ
كَانَتْ رَعَتْهُ وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْسَكِبُ
وَرُحْتَ مِنْ سَفَرٍ مُضْنٍ إِلَى سَفَرٍ
أَضْنَى لأَنَّ طَرِيقَ الرَّاحَةِ التَّعَبُ
لَكِنْ أَنَا رَاحِلٌ فِي غَيْرِ مَا سَفَرٍ
رَحْلِي دَمِي... وَطَرِيقِي الجَمْرُ وَالحَطَبُ

إِذَا امْتَطَيْتَ رِكَاباً لِلنَّوَى فَأَنَا

فِي دَاخِلِي... أَمْتَطِي نَارِي وَاغْتَرِبُ

قَبْرِي وَمَأْسَاةُ مِيلاَدِي عَلَى كَتِفِي

وَحَوْلِيَ العَدَمُ المَنْفُوخُ وَالصَّخَبُ

«حَبِيبُ» هَذَا صَدَاكَ اليَوْمَ أَنْشُدُهُ

لَكِنْ لِمَاذَا تَرَى وَجْهِي وَتَكْتَئِبُ؟

مَاذَا ؟ أَتَعْجَبُ مِنْ شَيْبِي عَلَى صِغَرِي؟

إِنِّي وُلِدْتُ عَجُوزَاً.. كَيْفَ تَعْتَجِبُ؟

وَاليَوْمَ أَذْوِي وَطَيْشُ الفَنِّ يَعْزِفُنِي

وَالأَرْبَعُونَ عَلَى خَدَّيَّ تَلْتَهِبُ

كَذَا إِذَا ابْيَضَّ إِينَاعُ الحَيَاةِ عَلَى

وَجْهِ الأَدِيبِ أَضَاءَ الفِكْرُ وَالأَدَبُ

❋❋❋

وَأَنْتَ مَنْ شِبْتَ قَبْلَ الأَرْبَعِينَ عَلَى

نَارِ «الحَمَاسَةِ » تَجْلُوهَا وَتَنْتَحِبُ

وَتَجْتَدِي كُلَّ لِصٍّ مُتْرَفٍ هِبَةً

وَأَنْتَ تُعْطِيهِ شِعْرَاً فَوْقَ مَا يَهِبُ

شَرَّقْتَ غَرَّبْتَ مِنْ «وَالٍ» إِلَى «مَلِكٍ»

يَحُثُّكَ الفَقْرُ... أَوْ يَقْتَادُكَ الطَّلَبُ
طَوَّفْتَ حَتَّى وَصَلْتَ « الموصِلِ » انْطَفَأَتْ
فِيكَ الأَمَانِي وَلَمْ يَشْبَعْ لَهَا أَرَبُ
لَكِنَّ مَوْتَ الْمُجِيدِ الفَذِّ يَبْدَأه
وِلادَةً مِنْ صِبَاهَا تَرْضَعُ الحِقَبُ

❋ ❋ ❋

«حَبِيبُ» مَا زَالَ فِي عَيْنَيْكَ أَسْئِلَةً
تَبْدُو... وَتَنْسَى حِكَايَاهَا فَتَنْتَقِبُ
وَمَا تَزَالُ بِحَلْقِي أَلْفُ مُبْكِيَةٍ
مِنْ رُهْبَةِ البَوْحِ تَسْتَحْيِي وَتَضْطَرِبُ
يَكْفِيكَ أَنَّ عِدَانَا أَهْدَرُوا دَمَنَا
وَنَحْنُ مِنْ دَمِنَا نَحْسُو وَنَحْتَلِبُ
سَحَائِبُ الغَزْوِ تَشْوِينَا وَتَحْجُبُنَا
يَوْماً سَتَحْبَلُ مِنْ إِرْعَادِنَا السُّحُبُ؟
أَلاَ تَرَى يَا أَبَا تَمَّامَ بَارِقَنَا
إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تُحْتَجَبُ

ديسمبر 1971م

❋ facebook.com/samir.alshamiri.7 21\9\2021.

الناقدة والشاعرة خيرة مباركي*

الناقدة والرسامة والشاعرة/ خيرة مباركي تدهشنا بأبداعاتها وسحر شعرها وسكراته الروحية، تدهشنا بعطائها الأدبي والثقافي والتنويري وبريشتها الفنية الساحرة.

تجذبنا لقـراءة نصها النقـدي لا للتمتع بجمال قلمهـا وأطروحاتها النقدية، وإنما أيضا لتغذية عقولنـا ووجداننا وأرواحنا بغذاء فكري مرتوق بجـودة عالية وبالمهارة والثراء الثقـافي والمعرفي ودقة التعبير الشفهي والكتابي.

هذا مايتبين للمتصفحين الذين تجذبهم رائحة قلمها وسـلامة ذوقها وجودة تأليفهـا والانطلاق الأنيس ليراعها الممشـوق بحس ثاقب وبوهج أسلوبي خلاق.

فالشـعر على حد تعبير أدونيس « طاقة تدفع الإنسان إلى أبعد مما هو، إلى أعلى مماهو، إلى تجاوز نفسه باستمرار».

وفي نفس الأفق يقول الجاحـظ « المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العربي والعجمي، والحضري والبدوي، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير».

وقصيدة النثر حامت حولها الشبهات ولم تخل من صائل وجائل ودارت في حلبتها معـارك أدبية بين أقطاب الأدب والفكـر وحملة الأقلام، وكانت ميدانا للمساجلات والمنافرات والمطارحات المتقاطعة ما بين مؤيد ومعارض.

يروي لنــا الدكتور/ جابر عصفور في كتابه: عوالم شــعرية معاصرة، أن الأديب والمفكر والناقد المصري الكبير عباس محمود العقاد كان ينفر من الشعر الحر ويعتبره ضربا من ضروب النثر وعندما كان (يرأس لجنة الشــعر بالمجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون في ذلك الوقت، كان يحيل قصائد الشعر الحر التي يكتبها صلاح عبدالصبور و أحمد حجازي وكمال نشــأت و فوزي العنتيل وغيرهم إلى لجنة النثر للاختصاص، وكنا نشعر بفرحة وحماسة لم تخل من عصبية بسبب موقف طه حسين الذي لم يرفض شعر هؤلأ الشعراء الجدد).

ولقد تحامل بشــدة الأستاذ / عباس محمود العقاد على الشعر الحديث ولم يعترف به حيــث يقول (إنه كالغناء بلا أنغــام ولا فن ولا طرب فكيف ندعــي أنه غناء) ثم يضيف (تريد منــي أن أقرأ الذي يكتبه « البتاع صــلاح عبدالصبور «...إني أتحدى عبــد الصبور هذا أن يقرأ عشرة أسطر من النثر دون أن يخطئ في تشكيل أو نطق نص كلماتها).

المولود النقدي الجديد للعزيزة الفاضلة/ خيرة مباركي موســوم ب: « الايقاع في قصيدة النثــر «، صادر عن دار رومنس القرن 21 للنشر والإعلام-الجزائر والذي تدير دفته بأتقان الشاعرة/ سليمة مليزي.

ألف مــبروك للأنيقة المبدعة / خيرة مباركــي ونتمنى لك مزيدا من التألق والفوز والفلاح والعز والأفضال.

❋ facebook.com/samir.alshamiri.7 7\10\2021.

الشجرة: جمال وجلال وكبرياء*

إن العراك أزلي ما بين الشر والخير، وما بين القبح والجمال، فالجمال يفقأ عين القبح، والقبح يمد مخالبه الحادة لتشـــويه صورة الجمال والإناقة والنقاء.. فالحفاظ على البيئة والإنسان يحتاج إلى ثقافة جمالية وأخلاقية، يحتاج إلى تهذيب واحـــترام للبيئة وما حولها.. فالجميل المثقف يتذوق نكهة الجمال، ويحس بســـحر المكان وتغير الأزمنة والفصول في إيقاع تراتبي متسق.

لقد أندهش جار المفكر الألمـــاني عمنائيل كانط، من هذا المفكر الذي قدم دعوى قضائية ضده، لأنه قطع الشـــجرة التي تلهم المفكر فكراً، وتمنحه راحة وفسحة جميلة للتأمل والتفكر.

إن قطع الأشجار والاعتداء عليها و على عذرية البحر بقساوة، والتهام الجبال، ومصادرة المتنفســـات والحدائق والرمال وكل فسحة للهدوء والسكينة، فعال غير حميدة تتقاطع مع مفاهيم الخير والحب والجمال، وتدمر السعادة وتحطم الوجدان.

الشـــجرة التي تحمي الإنسان من الوحشـــة، وتتداخل في ألفة جميلة في تضاريس وتعرجات الزمن، وتظلل الإنســـان من سياط الشمس اللاهبة، وتعطينا شحنة من المحبة والجمال والجلال، تعطينا الثمرات وترقق عواطفنا من التخشب والتحجر، وتدفع عنا التصحر والعطش والجفاف، وتخصب والوجدان الاجتماعي، وتطير بنا إلى روحية هانئة.

إن الشجرة تقدم خدمة جليلة للإنسان في تنظيف الهواء حتى يستنشقه نقياً، فهي حافظة للتربة من الانجراف، وتنظف بصورة طبيعية ثاني أكسيد الكربون، وتدفع إلى السماء الأكسجين، إنها تعلمنا الوقوف بثبات أمام هبوب الرياح العاتية، وكيف نحافظ على السمو والأنفة حتى في أحلك الظروف، دون أن نغير مكياج وجوهنا.

إن تكسير الأغصان واقتلاع الأشجار من جذورها، هو تحطيم للإنسان واجتثاث للمساحات الخضراء وللآمال المورقة في القلوب والعقول، فالوحشة عندما تمد يدها الغليظة لا تفرق ما بين رمل وحجر، ما بين شجرة وتصحر، ما بين ماء وحيتان، ولا تعترف للبحر بالبراءة، وتوغل في التطاول على البشر وشموخ الجبال، وتهدم كل سمة للأصالة والتفرد، وتعزز النزعة الذئبية الباطشة للإنسان.

لقد صرخ مرة الشاعر محمود درويش، صرخة مدوية، حين قال « أرفعوا أيديكم عن الشجرة ! إنه الوطن »، وأسترسل قائلاً: « إن الشجر يحمل مجدين: مجد الجمال، ومجد المنفعة، والشجر يموت إذا حان أجله.. ولكن الإنسان البطل لم يستطع حتى الآن أن يموت كما يموت الشجر مجازاً.. الإنسان يموت واقفاً، لأن أقدامه راسخة في الأرض عميقاً.. عميقاً.. وهذا ما نسميه بكبرياء الموت ».

فحافظوا على الخضرة والشجرة التي تعيد للعين متعتها، ولا تدعو الفؤوس طليقة اليدين في تخشيع الأشجار والعبث بكبريائها.

يجب أن نحترم القوانين، قوانين الطبيعة والمجتمع، فالخروج عن جادة القانون يفسد البيئة والإنسان، ويخل بالتناغم الأزلي، ونجوى الزمان، والتداخل الأليف ما بين الطبيعة والبشر.

❊ facebook.com/samir.alshamiri.7. 15\10\2021.

اللغة العربية بيتي وهويتي*

اللغـــة العربية بيتي وهويتي وأداة تفكيري وتحليلي السوســـيولوجي ووســـيلتي في إتقان حرفة الكتابة والتأليف وإنـــارة مضائق الأذهان وايقـــاظ الأفكار وتنويـــر البصائر وتفتيق الأذهان، إنها تســـكن كل أرجائي وتجعلني مندمجا مع الشعر والأدب والفن والثقافة ومع أهل الذوق والتبصر والبلاغة.

اللغة العربية مغموســـة في كياني تهمس نغما وبرنينها الأنيق تســـكن خافقي ولبي وتلامـــس بأناملها روحي، فهي أداة تفكيري نجد فيها ســـلامة الذوق واللذة الفنية والعاطفية والحســـية والصفاء الروحي والنشوة النفسية وجلوات الفكر واشراقات الروح (اللغة هي القوة - حسب تعبير العلامة الجزائري عبدالحميد بن باديس). ولا أرى مجالا للريب أن اللسان أداة للاتصال والتفكير والحوار المهموس والمسموع ونقل الأفكار والمشـــاعر والسرور والجذل والنشوة والتعبير الرشيق وتبليغ الرســـائل الوجدانية والرمزية والعاطفية والإنســـانية المتدفقة بالمشـــاعر النبيلة، أو في الضفة الأخرى تحمل معاني صد قاســـية نابية في الذوق وموحشة وبليدة تكون مرآة للجمود العاطفي والاجتماعي وللأمزجة المعطوبة والعقائد الفاسدة التي تفتقر للذكاء والموضوعية والحصافة واللباقة العقلية والاجتماعية.

ومن غميس اللغـــة تنبجس الكلمة المهذبـــة والصادقة والتي تحمل في طياتهـــا مدلـــولات حضارية وثقافية ونفســـية وتربويـــة وتذوقية

وتهذيبية(فالكلمة الطيبة صدقة- كما قال رسـولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم).

فاللغة رحبة تتسع للتعبيرات الرمزية والدلالية وتعكس ثقافة الشعوب والأفراد والجماعات الاجتماعيـة و من يضيق صدره بالآخر ولايجيد فن الحديث لايمكن أن يجيد فن الاستماع والجدل والمحاورات اللبيبة والمفيدة والممتعة، وبالتالي يقدم أفكارا وتعابير ذابلة وصلدة.

إننا نصاب بكدر مرير عندما نقرأ ونسـمع لغـة جامدة ومبهمة غير زاخـرة بالذوق والجمال والعمق والنطاسـة وبـدون مضمون ثقافي ومعرفي عويصة الفهم تنفر السـامعين والمتمدرسين خالية من نكهة التشويق وغير ملذوذة تسلك سـبيل التعسير ولا تحافظ على الرونق والجمال والسلاسة وملكة اللسان العربي.

فالأكفـاء والفطراء أهل العلم والاقتداء والبلاغة لهم ملكة اللسـان يجيدون التعبير الشفهي والكتابي باللغة العربية من طراز رفيع.

وأمـراء الكلام وأرباب الأقلام يصبون سـحرهم اللغوي في أفئدتنا ويسكبون أحاسيسهم في ووجداننا بلغة راقية مردوفة بجمال الأسلوب والرقة والطلاوة والسلاسة وكثافة الإبهار.

وهذا هو الأسـتاذ / عبدالعزيز جاويش من أقطاب الصحافة واللغة العربية ومن أعمدة الفكـر والثقافة في مشرق القرن العشرين يصول ويجول فصيح اللسـان بليـغ العبـارة يناجي قلمه بسـحر البلاغة والفصاحة والكلام المحمود فيقول:

(أيها القلم: لوكنت سيفا لأغمدتك في صدور من يحاربونك أو سهما لأنفذتك في أعماق قلوبهم ولو كنت جوادا لوجدت لك ميادين النزال مجالا للكر والفر. لكنك ذلـــك العود الذي أيسر ماينال من عدوه أن يعالجه بالمبراه فيشقه أو بالأصابع فيكسره. فلتكن أيها القلم ماشاءوا لك. أما نائـــما إلى حين أو ميتا أبد الأبدين فقد تركت عيونا لايغدوها النـــوم وقلوبا لايملكها اليأس وأيديا لا تخاف السلاســـل والأغلال وأرواحا تفدي الحرية والاستقلال).

ســـادتي الأجلاء وأخواني الفضـــلاء إننا نحب اللغـــة العربية بروح إنسانية سامية بمنأى عن زوبعة الأهواء وبلاهة أهل الشطط والزيغ، فليس من شيمنا إزدراء اللغات والثقافات الأخرى وتصعيد النعرات الشوفينية والتحريض الفج على الكراهية والقطيعة والتهاجر الإنساني والتغطرس الفكـــري والمعنوي والقومي بلغة متحذلقـــة طنانة، إننا نحترم لغات وثقافات الشـــعوب وضد التكلس والانغلاق وكماشة التضييق العنـــصري، ولا أبرح أدعو إلى المحبة والســـلام والانفتاح والمثاقفة وفضيلة التسامح وسعة الصدر.

لقد كانت محقة الأدبية المرموقة مي زيادة حين قالت:

(أنـــه من العيب علينا أن نـــرضى بديلا عن اللغة العربيـــة في كتاباتنا ومحادثاتنـــا وعلومنا. فلغتنـــا جميلة على مر العصور وقد اكتســـحت الشعوب وما زادتها الأيام إلا رونقا ووضوحا وبهاء، فلنتكلم ما نشاء من اللغات بشرط ألا ننسى لغتنا).

ولن ندع الفرصة تمر في اليوم العالمي للغة العربية دون أن نومئ إلى أن ثمة أقلام أثبتت فحولتها اللغوية والفكرية بلباقة مرنة ولسان فصيح ومن جملة هذه الأقلام أحلام مستغانمي.

أحلام مســتغانمي أديبة مرموقة مشرقة الطلعة لطيفة الشمائل مرهفة الحس ندية المشــاعر وآية في البيان واللباقة العقلية واللسانية مسكونة بالطيبــة والرقة والجمال ومفعمة بنقاء السريرة تخترق كلماتها ســتائر القلب.

بلغة بليغــة وفريدة حافلــة بالرهافة والجمال تدغدغ الأحاســيس وتلامس أوتار الروح تنثر في الفضاء العمومي ترنيمة بالغة الأثر عن اللغة العربية تملئ الفم وتقرع الأذن وتوقظ جوامد النفوس وتنبجس منها نفحات العطر الزكية، زاخرة بالجــودة والأصالة والمهارة وبعد النظر ومغموسة باللذة الفنية حيث تقول:

(ســأظل أنحاز للعربية لأنها لغة قلبي ، وعقيــدتي، ولأنها وجداننا القومي المشــترك، ولأنني لا أعرف كيف أقــول كلمة « أحبك» إلا بالعربية ، ولا أطرب إلا لها ، ولاتصيبني ســهم الكلمات إلا إن كان من رمحها. ولا أبلغ حالات التجلي إلا في حضرتها).

* جريدة الأمة العربية (الجزائر)، العدد 3942، 20/ 12/ 2021م، ص19.

المثقف منكوب بالألم الاجتماعي*

المثقفــون ومن في معناهــم نقرأ في وجوههــم الألم والتعابير الجريحة والشــحوب والإنهاك والهزات النفســية المؤلمة، فالفقر الموجع جعل حياتهم مفعمة بالشــقاء والتقلب والمحن وتحــول البعض منهم إلى متسولين وقوى فائضة يعيشون على شيء من القلة والشظف.

لقــد انهــارت الطبقة الوســطى بفعل الحــرب والدمــار والخراب الاقتصــادي والاجتماعي والمعنوي والصدمات وأزمات الانكســار وموجة الجوع والإملاق والأمراض والمكابدات النفسية

ولعله من الضروري القول، أن المثقف اليوم منكوب بالألم الاجتماعي والحرمان والتهميش والإقصاء يســكن محاريب الغُربة و يعيش على شيء من القلة والشــظف وكثــرة كاثرة من المثقفــين مصابون بعلل وأمراض شــتى أبرزها:الســكر وأمراض القلب والسرطان وســؤ التغذيــة، والبعض منهم تســاقطت أســنانهم من شــدة الهم والهرم والضغوط النفسية الرهيبة وقسوة اليأس ورعشة الخوف.

لقد تم تحويــل رجالات العلم والثقافة والإعــلام والتربية والتعليم وصُنــاع المثــل والأخلاق إلى فقراء وشــحاتين ومســتضعفين وتم تقزيمهم وتحقير أدوارهم العلمية والثقافية والتنويرية، وذهب بعض أهل الجهل والزعرة والشــطط إلى وصفهم بأحط صفات الوضاعة، وفي الضفة الأخرى تم الإعلأ من شــأن السُراق والفاسدين وشاذي الآفاق وجعلهم أنموذجا يحتذى بهم في المشهد العمومي.

« أكثر ما يكرهه القطيع هو إنسان يفكر بشكل مختلف، إنهم لا يكرهون رأيه في الحقيقة، ولكن يكرهون جرأة هذا الفرد على امتلاك الشجاعة للتفكير بنفسه ليكون مختلفا « « أرثر شوبنهار».

لقد دأبوا على كسر صمود وكبرياء المثقفين ومحاربتهم في لقمة عيشهم وتم خلعهم من أشغالهم بطرق ووسائل ماكره وتحويلهم (البعض منهم) إلى قوى فائضة.

قســوة الحياة ومخالب الآلام والعذابات تنهش في الأجسام الضعيفة للمثقفين و التي تتعرض لضروب من الزعزعة، فيتحملون الأوجاع والمشــقات ويواصلون مشــوار حياتهم بأرادة فولاذيــة حتى الرمق الأخير.

(نحن « المثقفين» - نصــارع على جبهة الفكر ونقاتــل قتال العقل) « هشام شرابي».

أصحاب القوة وأرباب الســيوف وأهــل العصبيات حريصون على تكســير الأقلام وتكميم الأفــواه بطرق مادية ومعنويــة و(اعلم أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بها على أمره) «إبن خلدون».

« المثقــف الحقيقي أصبــح كائنا مهددا بالانقراض ؛ بســبب طوفان مدعي الثقافة الذين هيمنوا على الساحة الثقافية دون محتوى أخلاقي» حسب تعبير فرانك فوريدي مؤلف كتاب: أين ذهب كل المثقفين ؟

❋ https://www.facebook.com/samir.alshamiri.7 11\11\2022.

شاعر وناقد من طراز رفيع*

نعيش حياة كلها خبص في خبص مغموسة بالجوع والزفرات الحزينة والمضض الروحي وويــلات التناحر والاحترابات والعذاب الغليظ والتشظي ومثخنة بجراح النزاع وسهام الاتهامات:

إننا نموت بشــكل متجزئ ! يموت الفرح، تمــوت الذاكرة، تنحني الأشــواق، ندخل في الرتابة، ثم ننسحب، نشــيخ بسرعة، وبشكل مذهل، شيئ ما يتآكل يوميا داخلنا ولانشعر « واسيني الأعرج».

الكاتب والشــاعر والناقد والمثقف مقيد بأصفاد مادية ورمزية يكتب ليتجــاوز الألم العظيم والأوضاع الزميتــه وفي قلب المحنة والعذاب تصعد من أعماقه قوة تجعله يدوس بقدميه على الأوجاع:

ويمشي مبتسما أمام كل من ينتظر سقوطه « نزار قباني».

أكتب تجنبا للموت، أكتب تفاديا للنسيان، أكتب على أمل ضئيل لاترك أثرا، ظلا، خربشة في رمال متحركة، في غبار متناثر، في صحراء شاسعة « آسيا جبار».

يمكن القول دون سهو أو لغط، إن الشاعر والناقد والأديب الدكتور/ عبدالعزيز المقالح

(1937-2022م)، صنع مجده بالعمل والصبر والمثابرة فمن الشفق إلى الغسق كان يقرأ ويكتب:

يقرأ كل شيئ، ويسمع كل شيئ، ويناقش كل شيئ « أحمد بهاء الدين »، حتى أصبحت المنضدة جزءا من جسده- حسب تعبير الروائي العالمي أورهان باموق:

اللافت للانتباه أن هناك الكثير ممن يتجرؤون على الكتابة بانتظام من دون أن يفهموا جيدا، صهيل الحروف، ولاهديل الكلمات، صحيح أن نصوصهم وكتاباتهم خالية من الأخطاء النحوية والإملائية، إلآ أنها محرومة أيضا من الجرس الجميل، والبناء المستقر، فالعبارة عند هؤلأ مرتبكة تتأرجح على حبل من أفعال وأسماء وأحرف لاانسجام بينها، ولا ارتياح موسيقيا في ايقاعاتها، مايجعل قارئها ينفر منها وينصرف عن متابعة النص أو إكماله «ناصر عراق».

المبدعون حملة الأقلام وأهل الذكاء والكيس من أمثال د. عبدالعزيز المقالح:

هم أولئك الذين عرفوا الهزيمة والكفاح والعذاب والخسارة، ووجدوا طريقهم الخاصة للخروج من الأعماق السحيقة، هؤلأ الأشخاص لهم رؤويتهم وحساسيتهم وفهمهم للحياة. يملؤهم التعاطف والتواضع والبساطة، والقلق والحب العميق.الأشخاص الجميلون لايأتون من لاشيء « الزبت كويلر روس».

الشاعر والناقد والمثقف الدكتور/ عبدالعزيز المقالح مليح الأدب واللفظ يحمل بين دفتيه الفطرة والبداهة وبلغ أرقى مدارج الرقي الشعري والأدبي ويكتب بحبر عليم وموهوب حتى أطراف أصابعه.

والشعر – حسب تعبيره – كتابة متقدمة تحاول استحضار العالم وإيقاظ التاريخ ورسم صورة الإنســان من الداخل. وكل شاعر حقيقي يأتي إلى الحياة يحاول انجاز شيئ جديد في اللغة والمعنى ويسعى إلى إضافة أنهار وجبال ووديان لاوجود لها في الجغرافيا.

وقد لا أكون بحاجة للقول، أنه صاحب ثقافة ثرية ومتين في اللغة والشعر والأدب يحســن صناعة الكتابة وله في اللسان ملكة ويكتب بأسلوب أدبي فخيم وبلغة بليغة وفريدة تملئ الفم وتقرع الأذن.

مــن مشرق عمره وحتى آخر شــهقة في حياته ســكن الوطن روحه ووجدانه وكتب قصائــدا تفيض روحانية بأيقاعــات جميلة وتعابير باهرة خارجة من الأعماق بنغمات حارة كثيفة الإبهار وبصور شــامخة في الوجدان في غاية العمق والتجلي:

في لساني يمن

في ضميري يمن

تحت جلدي تعيش اليمن

خلف جفني تنام

وتصحو اليمن

صرت لا أعرف الفرق ما بيننا

أيُنا يا بلادي يكون اليمن ؟!

لقد غرس المقالح في نفوســنا حب الوطن وعــزز روح الانتماء وكنا نشــغف كل الشــغف بقراءة قصائدة الوطنية والقومية والإنســانية ونحفظها ضمن المقررات المدرســية ونتابع بلهفة وشــوق قصائده المنشــورة في المجلات والصحف الســيارة ونبتهج بصدور مؤلفاته ودواوينه الشعرية المشحونة بالطاقة الشعرية واللذة الفنية والعاطفية والحســية والصفاء الروحي والتي ترتفع إلى الذروة العليا في السبك والوصف والتصوير الفني البديع الزاخر بالذوق والجمال:

– 1 –

أنت ما أبصر الأن
ما كنت أبصر بالأمس
عيناك ضوئي
ووجهك نافذتي
ودليلي
إذا سألوني عن اسمي أشير إليك،
وإن سألوني الجواز نشرت على جسدي
وجهك العربي المرقع بالجوع
أنت أنا
يتكلم في شفتي صوتك الوهن
الحرف

لاصوت لي،

صرتِ وجهي وصوتي،

وعين غدي

يا أميرة حبي وحب الزمان

في مغرب عمره هده المرض وزعزعته الهزات النفسية العظيمة وغاص في أخاديـــد عميقة من الحزن بعد أن غرق المجتمع اليمني في الحروب وأنواع المقاتلة وتســعرت الفتن وكثرت التصدعات والتشققات في فضاء كالح وكئيب وبزغت أفكار ومعتقدات صعبة الهضم متناشــزة مع روح الانتماء للتراب الوطني وارتفع منســوب الكره الاجتماعي وتمزيق صواميل لحمة التعاضد والتسامح والتساكن مع كم هائل من السفه والتسفل:

أنا ليس لي وطن

أفاخر باسمه

وأقول حين أرى

فليحيا الوطن

وطني هو الكلمات

وبعض من مرارات الشجن

باعوه للمستثمرين وللصوص

وللحروب

ومشيت على أشلائه

زُمر المناصب والمذاهب

والفتن

الأديب والشـاعر والناقد والمثقف الدكتور/ عبدالعزيز المقالح طيب القلب رقيق الحاشـية يملك فيضا هائلا مـن الثقافة وصاحب منزلة محمودة في قلوبنا وله باع طويل في الإبداع الشعري والنقدي والثقافي والتنويري ومن الراسخين بالعلم والناطقين بالفهم، لقد أثرى حياتنا الثقافية بجرعات ثمينة من الثقافة والمعرفة والوعي النقدي وخصب ذائقتنا الشعرية بقصائد شعرية راقية ووضع بصمته الشعرية والثقافية والتنويريـة في جبهة الزمن ووقف شـامخا في قمة الهرم الأدبي برصيد ضخم من الثقافة والفكر والإبداع.

لقد مات الدكتور/ عبدالعزيز المقالح الذي ترك فراغا عظيما في فضائنا الثقافي والمعرفي والتنويري.

إني أشعر بغصة ألم في حنجرتي، أشعر بوجع موحش ودموع حرى في العين وحسرات لاذعات في الفؤاد وبعطب في كياني:

أشـعر أن شـيئا تحطم في أعماقي غير الأضلاع، شيئ أهم من العظام لايمكن ترميمه على الإطلاق « محمد الماغوط».

❋ https://www.facebook.com/samir.alshamiri.7/ 2\12\2022.

مات البروفيسور أبوبكر السقاف *

المفكر اليمني- العربي البروفيسور / أبوبكر السقاف - مات وفي قلبه غصة ألم وفي عينه دمعة حزن، مات جريح القلب قريح العين مكسور الجناح على وطن هش كهشاسة بيت العنكبوت تحطم كأناء من الفخار:

(يقولون إن الإنسان يشيخ عندما يتقدم به العمر، لكنه يشيخ عندما ينطفئ ضؤ ما كان في روحه) «التبريزي».

لقد دافع عن الوطن والحرية والإنسان، نافح عن الفقراء والمظلومين والمساكين والمحاويج والبؤساء ومن لاحيلة لهم من الفئات الضعيفة في المجتمع.

وكان يؤكد دوما (إن الخروج من المأزق لا يتحقق بالاصرار على كل اللاهوتيات التي صنعت حاضرنا المرعب على الصعد كلها، وجعلنا عبيد القرن الواحد والعشرين، بل في إعادة التفكير بمنهج النقد الذاتي التي طال خضوعنا لشروطها الذهنية والنفسية حتى الإدمان، وفتح أفق التفكير النقدي لمواجهة الأصنام).

عُرف بالبراعة في الحديث والتفكير والحوار وكان صاحب نخوة ورجولة لايهاب السراق وأهل الجور والاغتشاش من لا أخلاق لهم ولا عفاف.

كره التزلف وشطحات أهل القوة والهيمنة والتكفير والتخوين، كره الدجل والمخادعة و الخبث والبلاهة وتضليل الرأي العام واستهبال العقل.

وهو القائل (جلادو الأمس لا يمكن أن يكونوا منقذي اليوم، فمشعل الحرائق ليس اطفائياً).

فحياته كلها كفاح وألم وشقاء ونضال ولاقى اضطهادا ومعارضات ومضايقات لاتحصى.

عندما عجز أهل الشوكة والسيف على كتم صوته وكسر شوكته ضربوة في الشارع في وضح النهار مع زميله الشاعر/ زين السقاف ورموهما في منطقة نائية ليموتا كمدا ووجعا وجوعا وعطشا.

قاوم الدكتاتورية والعنف والإرهاب الجسدي والمعنوي والصدمات الجسيمة ورفض أن يبتلع لسانه أو أن يصمت، فالدكتاتورية حسب تعبير الدكتاتور الأسباني فرانكو (هي أن تجعل المثقفين والمفكرين يصمتون).

حلم بوطن جميل تسود فيه العدالة والانصاف والمواطنة المتساوية بوطن يمزق الأغلال و أسداف الظلام، لكنه اصطدم قبل آخر شهقة في حياته بحروب وفوضى وفتن وخطابات إستعلائية عنصرية حالكة لاضؤ فيها ولا وميض وانقسامات وتشرذمات وعصبيات ومليشيات وقبائل وعقائد صعبة الهضم تنهش عقل وروح وجسد المجتمع.

رأى النخب الحاكمة تمارس ألوانا فضيعة من اللصوصية والجور

والاغتشاش وبشـــعارات كاذبة وببكائيات حارة وبأفكار مستهلكة تلوكها الألسن:

(لقد أعطونا الســـاعات واخذوا الزمن، أعطونـــا الأحذية واخذوا الطرقات، أعطونا البرلمانات واخذوا الحرية، أعطونا العطر والخواتم واخذوا الحب، أعطونا الأراجيح واخـــذوا الأعياد، أعطونا الحليب المجفف واخذوا الطفولة، أعطونا السماء الكيمياوي واخذوا الربيع، أعطونا الحـــراس والأقفال واخذوا الأمان، أعطونـــا الثوار واخذوا الثورة) « محمد الماغوط».

عزيزي الدكتور/ أبوبكر السقاف (لا يزال الليل ليلا) كما أكد الروائي العالمي فرانز كافـــكا. إننا نعيش زمن الانهيارات والثعابين الســـامة والانفلات والغرائب والغرائز البدائية والخرافات والأوهام وخيبات الأمل العظيمة، (إحنا في زمن المسخ)كما قال علاأ الأسواني في روايته « عمارة يعقوبيا».

(منذ ولدت وأنـــت تقاتل الحيـــاة لتصل إلى موتك ســـالما) «محمود درويش».

❋ https://www.facebook.com/samir.alshamiri.7 14\12\2022.